# الدراسات الاستشراقية حول أهل السنة (عرض ونقد)

إعداد

**الأستاذ الدكتور/ محمد علي إسماعيل البطة**

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد

في كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة - جامعة الأزهر

**البريد الإلكتروني:** batta712000@yahoo.com

**العام الجامعي** ١٤٤٤ هـ/ ٢٠٢٢ م

**ملخص البحث باللغة العربية:**

## الدراسات الاستشراقية حول أهل السنة: عرض ونقد

محمد علي إسماعيل البطة

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، المنصورة، جمهورية مصر العربية.

**البريد الإلكتروني:** batta712000@yahoo.com

**ملخص البحث:**

تعتبر الدراسات الاستشراقية من أهم الأطر الفكرية التي شكلت المفهوم الغربي نحو الاسلام، ولقد اتسمت هذه الدراسات بتعدد موضوعاتها وتنوع قضاياها

من بين هذا التعدد ظهر الاهتمام الاستشراقي بدراسة الفرق الاسلامية مثل المعتزلة والشيعة والخوارج، مقابل اهتمام قليل، وتناول بسيط لأهل السنة

من هنا جاء الاهتمام ببحث ﴿الدراسات الاستشراقية حول أهل السنة: عرض ونقد﴾ من خلال استعراض مفهوم اهل السنة في الفكر الاستشراقي ونقد هذه الافكار من خلال مسارين:

١ – أساليب البحث الممنهجة في الدراسات الاستشراقية حول أهل السنة .

٢ –نقد الافكار العامة للاستشراق حول أهل السنة من خلال السياق الديني، والتاريخي لهذا المفهوم ومن خلال علماء أهل السنة أنفسهم وأئمتها الأوائل.

**الكلمات المفتاحية:**

الدراسات الاستشراقية – أهل السنة

ملخص البحث باللغة الإنجليزية:

## Oriental Studies on the Sunnis: Exposition and Criticism

Mohamed Ali Ismael Elbatta
Department of Da'wah and Islamic Culture, Faculty of Fundamentals of Religion and Dawah, Al-Azhar University, Mansoura, Egypt.
**Email**: batta712000@yahoo.com

**Abstract**:

Oriental studies are considered one of the most important intellectual frameworks that formed the Western concept of Islam. These studies were characterized by the multiplicity of their topics and the diversity of their issues.

Among this multiplicity emerged the Orientalist interest in studying the Islamic sects such as the Mu'tazila, the Shiites and the Kharijites, in exchange for little interest and a simple treatment of the Sunnis.

From here came the interest in researching {Oriental Studies on Ahl al-Sunnah: Exposition and Criticism} by reviewing the concept of Ahl al-Sunnah in Orientalist thought and criticizing these ideas through two tracks.

1 - Methods of systematic research in oriental studies on the Sunnis

2 - Criticizing the general ideas of Orientalism about the Sunnis through the religious and historical context of this concept and through the Sunni scholars themselves and their early imams.

**key words**: Oriental Studies - Sunnis

بسم الله الرحمن الرحيم

## المُقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين، وخاتم النبيين، ورحمة الله للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد،

فقد اتسم التتاج الفكري للدراسات الاستشراقية بتعدد موضوعاته وتنوع قضاياه خلال القرنين الماضيين، وارتبطت هذه الدراسات ببعض الجهود المبذولة من بعض المستشرقين للتعريف بالفرق الإسلامية عمومًا، وبأهل السنة والجماعة بوجه خاص.

وعلى الرغم من أن هذه الدراسات لم تُنشر في بحوث مستقلة، بل ورد تضمن دراسات عديدة قد بُذلت من أجل التعريف بالإسلام وتاريخه وأهم فرقه، فإن ثمَّةَ اهتمامًا كبيرًا من المستشرقين بالفرق الإسلامية مثل الخوارج، والمعتزلة، والشيعة، يقابله اهتمام ضئيل، وتناول بسيط على استحياء لأهل السنة والجماعة، الأمر الذي يشحذ همم الباحثين حول هذا التناول الضعيف لأهل السنة والجماعة.

يمكن توضيح طبيعة الدراسات الاستشراقية لمفهوم وتاريخ أهل السنة ضمن مسار عام تناول من خلاله المستشرقون مفهوم وتاريخ أهل السنة في إطار ما يسمى بـ (الدراسات غير المباشرة) علي عكس تناولهم للفرق الإسلامية الأخرى كالمعتزلة والشيعة وغيرهم بـ (الدراسات المباشرة) .

ولا شك أن مفهوم أهل السنة من المفاهيم المهمة التي فرضت نفسها في الإطار العقدي والفكري والمذهبي والتاريخي علي مدار حقب الإسلام المختلفة قديمًا وحديثًا، كما ازدادت أهمية هذا المفهوم في عصرنا الحاضر نظرًا لتزايد الشعور بأهمية تحديد وتوضيح هذا المفهوم وفق رؤية علمية تستلزم ضرورة عاجلة لمناقشة وبحث مثل هذه المفاهيم التي

تمس واقع الأمة الإسلامية وحياتها.

كل ذلك كان أدعي إلى أن أستعرض مفهوم أهل السنة والجماعة في الدراسات الاستشراقية، ويدفعني إلى ذلك فضول حول ما إذا كان مبحث أهل السنة والجماعة محل اهتمام لدي المستشرقين، وهل يختلط علي ما عهدناه في الدراسات الاستشراقية في مجال الفرق الإسلامية، وما هي أساليب البحث المنتهجة في مثل هذه الدراسات؟

ولا شك في أن طرح مفهوم (أهل السنة) يمكن تناوله من زوايا عدة، ومحاور مختلفة ومن بين هذه المحاور محور الدراسات الاستشراقية.

وهذا المحور هو صلب هذا البحث وركيزته الذي يتمثل في هذا العنوان:

**" الدراسات الاستشراقيةحول أهل السنة (عرض ونقد) "**

- أما عن أهمية هذا البحث ودوافعه فتكمن فيما يأتي:

**أولًا:** عرض مفهوم أهل السنة في الدراسات الاستشراقية.

**ثانيًا:** توضيح الأفكار العامة لمفهوم أهل السنة من خلال النصوص الاستشراقية.

**ثالثًا:** نقد النصوص الاستشراقية، وذلك لإبراز مفهوم أهل السنة في السياق الإسلامي من خلال علماء أهل السنة أنفسهم وأئمتها الأوائل.

- كما يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

**أولًا:** عرض مفهوم أهل السنة في الدراسات الاستشراقية.

**ثانيًا:** تقديم بعض النماذج الاستشراقية والتي يمكن من خلالها تمثيل مفهوم أهل السنة في الدراسات الاستشراقية (نماذج مختارة) .

**ثالثًا:** نقد الأفكار العامة للفكر الاستشراقي المتعلقة بمفهوم وتاريخ أهل السنة.

- أما عن المنهج المُتبع في هذه الدراسة:

فهو منهج شكلته وحددت منطلقاته المادة العلمية موضوع الدراسة، فما احتاج منها

للعرض قدمته الدراسة في صورة تكشف عن منهج المستشرقين ورؤيتهم لأهل السنة والجماعة، وما استوجب التحليل توقفت الدراسة عنده، راصدةً ما ينطوي عليه من إشكاليات، محاولة -قدر المستطاع- الإسهام في تقديم الإمكانيات التي تساعد على تجلية غامضها، مقدمةً التعليل والتفسير، مؤيدة بالأدلة والشواهد، من خلال علماء ورواد أهل السنة أنفسهم.

فهو -إذن- منهج استقرائي تحليلي نقدي، يقوم علي تتبع مفهوم أهل السنة في الدراسات الاستشراقية. ثم يعمد إلى تحليل الرؤى الاستشراقية ووجهات النظر الاستشراقية في هذا المفهوم للدراسات الاستشراقية.هذا وقد اشتمل البحث على مقدمة تبرز الدافع إلى اختياره، وأهميته في مجال الدراسات الدعوية والاستشراقية، كما نوهت عن حدود الدراسة ومادتها الفكرية، ثم بينت منهج الدراسة والمعالجة، والتخطيط الذي احتواه البحث.

ثم تلا المقدمة مدخل تمهيدي، ثم المبحث الأول، وهو يتناول تعريف الدراسات الاستشراقية، وأهم المراحل التي مر بها الاستشراق على نحو مختصر، وأبرز مناهج المستشرقين في دراسة الفرق الإسلامية، ثم المبحث الثاني والذي بعنوان أهل السنة في الدراسات الاستشراقية: عرض لأهم الرؤى والأفكار، وتلاه المبحث الثالث، وهو النقد العام للأفكار الاستشراقية حول أهل السنة، وأخيرا خاتمة البحث ونتائجه وتوصياته ومراجعه والفهرس.وبعد فهذا جهد المقل في هذا البحث . وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، والحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللهم وسلِّم وبارك علي سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

**مدخل:**

إنَّ المطالعَ لنتاجِ الدِّراسات الاستشراقية، وبخاصة تلك التي اهتمت بتقديم دراسات معمقة عن الإسلام وتاريخه وفِرقه، لا تخطئه تلك النظرة السطحية والتناول المبسط لمفهوم أهل السنة والجماعة وتاريخهم ومناهجهم، خلافًا لتوسعهم وتعمقهم في دراسة غيرهم من الفرق من نحو المعتزلة والشيعة وغيرهم.غير أن هذا لا يعني أننا ننكر على هؤلاء المستشرقين تناولهم لهذا المفهوم الضروري في التاريخ العقدي للإسلام، ولكننا ننكر التفاوت في درجة التناول بالقياس إلى الفرق الأخرى، وأفكارها المطروقة وتاريخ نشأتها، والتي عهدنا من جل المستشرقين الاهتمام بها وزيادة عرضها، وشمولية استعراضها في مقابل أهل السنة والجماعة، وهذا محل تساؤل هام واستفسار ملح.

أما فيما يتصل بمصطلح أهل السنة والجماعة فقد وردت في خضم مؤلفاتهم، وضمن محتويات دراساتهم، أو ضمن قضايا أخري ترتبط بالعقيدة الإسلامية، أو بتاريخ الإسلام، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل علي تعمد المستشرقين لهذا التناول السطحي، بمعني الانتقائية في التعامل مع الفرق الإسلامية أو الاهتمام الشديد ببعض الفرق الهامشية الأخرى مثل الخوارج وغيرهم.وهذا في حد ذاته يعتبر ضربًا من الإهمال لأهم ركيزة في تاريخ الإسلام .

وحتى لا نبتعد عن موضوعنا نقول: إن الموقف الراهن للمستشرقين من أهل السنة والجماعة هو موقف انتقائي يحتاج لمراجعة وبحث واهتمام، وهذا ما سوف أوليه اهتماماً عبر صفحات البحث.

## المبحث الأول

## الدراسات الاستشراقية (التعريف – مراحل التطور – مناهج البحث الاستشراقي في الفرق الإسلامية) .

يأتي في مقدمة هذا البحث مصطلح (الدراسات الاستشراقية) هذا المصطلح المركب من كلمتين عمادهما (الاستشراق) علي اختلاف مفاهيمه، وتنوع تعريفاته، لذا وجب أن نعرف به علي النحو التالي:

### أولاً: مصطلح الدراسات الاستشراقية:

**على** صعيد **اللغة وفيما يتعلق بالدلالة اللغوية لمصطلح الدراسات الاستشراقية فيمكن القول:** إن لمصطلح الاستشراق دلالتان: لغوية واصطلاحية، أما الدلالة اللغوية فالاستشراق في اللغة يعني الاتجاه إلى الشرق، وأقرب كلمة إلى الاستشراق هي التَّشْريقُ، فقد جاء في مختار الصحاح أن التَّشْريقُ هو الأخذ في ناحية المَشرِقِ؛ يقال: شتّان بين مُشَرِّقٍ ومغرِّبٍ، (١) وجاء في القاموس المحيط: التَّشْرِيقُ هو الأخذ في ناحية المشرق، وشَرِّقوا أي ذهبوا إلى الشرق أَو أتوا الشرق(٢).

كلمة الاستشراق مشتقة من الشرق، وهي تعني مشرق الشمس، ومن ثم تدل الكلمة علي الاهتمام بما يحويه الشرق من علوم ومعارف وسمات حضارية متنوعة، ويكون المستشرق هو الإنسان الذي وهب نفسه للاهتمام بما يدور في الشرق من مجالات مختلفة، وفي المقابل أيضا نجد كلمتي مستغرب واستغراب تدلان علي الميل نحو الغرب إعجابا أو تقليدا أو

---

(١) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، ص١٤٢، مكتبة لبنان، ١٩٨٦م.

(٢) محمد بن يعقوب مجد الدين الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ص٨٧٩، ط مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥م.

دراسة.

إنَّ كلمة شرق حسب دلالتها التاريخية القديمة أو المعاصرة تعني مجموعة الأقطار المنتشرة في آسيا وبعض الأقطار في أفريقيا وهي الأقطار المطلة علي حوض البحر الأبيض المتوسط، وقد يضاف إلي هذا أيضا بعض أجزاء من أوروبا الشرقية، وذلك لأن هذه الأقطار قد ربطت بينها روابط تاريخية كثيرة، فكثير من هذه الأقطار

يرتبط بعامل الدين، وكثير آخر يرتبط برابط اللغة، إلي غير ذلك من الروابط.(١)

**وقد عرفه محمد فتح الله الزيادي** بأنه مصدر من الفعل السداسي استشرق: أي طلب الشرق. وفي المعجم الوسيط: شرقت الشمس تشرق شروقًا وشرقًا: طلعت، واسم الموضع: المشرق، وشَرَّقُوا: ذهبوا إلى الشرق، وكل ما طلع من المشرق فقد شرق.(٢)

أما بالنسبة للدلالة الصرفية فالاستشراق مأخوذ من كلمة" شرق" ثم أضيف إليها حروف (الألف والسين والتاء) مصدر للفعل استشرق، والمُستشرق اسم فاعل من الجذر (شرق)، ويُقصد بهذا الذي يدرس الشرق أو المشرق ويتطلع إليه، أو الذي يميل إلى الشرقيين/ المشرقيين، فكلمتا (مشرق) و (مشرقيون) تنحيان لأن تكون لهما دلالة معنوية أكثر نوعًا من كلمتي (الشرق) و (الشرقيين) .

ومُجملُ القول إن مصطلح الاستشراق في السياق اللغوي مأخوذ من كلمة شرق ثم أضيف إليها ثلاثة حروف هي (الألف والسين والتاء)، وهذا معنى لغوي يتسع لكثير من المعاني ويشمل عديدًا من الدلالات.

**من ناحية أخرى وفيما يتعلق بالدلالة الاصطلاحية للاستشراق فله عدة تعريفات يمكن**

---

(١) الاستشراق في الميزان – محمد فتح الله الزيادي – مجلة رسالة الجهاد الليبية عدد ابريل سنة ١٩٩١ مـ .

(٢) إبراهيم مصطفي وآخرون، المعجم الوسيط، ١/ ٤٨٢ مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط ٢٠٠٤م، .

**إيراد البعض منها على النحو التالي:**

**الاستشراق** اصطلاحًا: هو "تعبير أطلقه الغربيون على الدراسات المتعلقة بالشرقيين، شعوبهم وبلادهم، وتاريخهم، وأديانهم، ولغاتهم، وأوضاعهم الاجتماعية، وحضارتهم وكل ما يتعلق بهم."(١) وهو أسلوب غربي لمعرفة العالم الشرقي عن طريق البحث أو التخصص في الشرق، بدراسة علوم وآداب وديانات وتاريخ شعوب الشرق للسيطرة عليه.(٢)

**وقال ادوارد سعيد: (**إن لفظ الاستشراق لفظ أكاديمي صرف، والمستشرق هو كل من يدرس أو يكتب عن الشرق أو يبحث فيه، وكل ما يعمله هذا المستشرق يسمي استشراقا)(٣).

**وعرفه المستشرق الألماني رودي بارت بقوله**: (الاستشراق علم يختص بفقه اللغة، وهو علم الشرق أو علم العالم الشرقي) .(٤)

**وقال الدكتور محمود حمدي زقزوق**: (الاستشراق هو علم الشرق، أو علم العالم الشرقي، وكلمة مستشرق بالمعني العام تطلق علي كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله، أقصاه ووسطه وأدناه، في لغاته وآدابه وحضارته وأديانه .ولكننا هنا لا نقصد هذا المفهوم الواسع، وإنما كل ما يعنينا هنا هو المعني الخاص لمفهوم الاستشراق الذي يعني

---

(١) عبد الرحمن حبنكة، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير الاستشراق الاستعمار)، ص ٥٣، دار القلم، دمشق، ط٨، ٢٠٠٠م.

(٢) محمد فتح الله الزيادي: الاستشراق أهدافه ووسائله، ص١٦ وما بعدها، دار قتيبة، دمشق، ط٢، ٢٠٠٢م.

(٣) ادوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب ص ٨٠، مؤسسة الأبحاث العربية- بيروت سنة ١٩٨٠مـ.

(٤) د/ أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثاره في الأدب العربي، صـ ٢٢.

الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الاسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام .

وهذا هو المعني الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي الاسلامي عندما يطلق لفظ استشراق أو مستشرق وهو الشائع أيضا في كتابات المستشرقين المعنيين.(١)

والحقيقة أنه برغم ما عرف به الباحثون المستشرق فإنه في نظري تبقي كلمة المستشرق لها دلالتان: الأولى أكاديمية، وهي ما تناولها الباحثون الذين أشرت اليهم آنفا، والثانية عامة: وهي كل من تعرض لحضارة العرب والإسلام بالدراسة .

**مفهوم الاستشراق الاصطلاحي:** أعني بهذا العنوان لفظة " الاستشراق Orientalism" التي اشتقت من الشرق وصار العاملون في مؤسساتها مهنيين، وأقول إن ما سبق كان متعلقا "بالبنية الجذرية " شرق، وهذا الجزء يتناول مفهوم " البنية المشتقة " استشراق.(٢)

واستنتاجًا مما سبق فيمكن القول: إن تعريف مصطلح الاستشراق اصطلاحًا يتمثل في أن الاستشراق نمط فكري ودراسي للبحث في الإسلام.

---

(١) د/ محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ١٨، كتاب الأمة – عدد صفر سنة ١٤٠٤ هـ.

(٢) الدكتور / عبدالله يوسف الشاذلي، الاستشراق: مفاهيم و صلات، جهود، صـ١٥ –بدون .

## مفهوم الاستشراق في اللغات الاوربية:

إننا إذا طرقنا جانب اللغات الأوروبية لمعرفة مصطلح الاستشراق من خلال هذه اللغات فيمكن دراسته في عدة نواح، وبشكل عام يمكن التأكيد على أنه بدءاً من القرن الخامس عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر نمتْ المعارف الواقعية عن الإسلام بصورة بطيئة لأقصى الحدود، وضمن وسط محدود جداً من الدوائر العلمية الأوروبية. ومن اللافت للانتباه، أن مفهوم ((المستشرق)) (Orientalist)، أي العالم، أو الدارس للشرق أو لغاته أو فنونه أو حضارته.. إلخ، ظهر في اللغة الإنكليزية في سنة ١٧٧٩، وفي الفرنسية ظهر هذا المصطلح في سنة ١٧٧٩ . أما الأكاديمية الفرنسية فلم تعتمد في قاموسها كلمة ((استشراق)) (Orientalism) إلا في عام ١٨٣٧ . والواقع أن التفسيرات الأوروبية لظهور الإسلام، والمتداولة في العصر الحديث ارتدت بالأساس طابعاً تطبيقياً، وكانت مشروطة –بخلاف القرون الوسطى– بالاحتياجات والمهام الإيديولوجية الأوروبية الداخلية قبل كل شيء.[١]

أما من ناحية المصطلح فقد اسْتُعْمِلَ مصطلح (المشرق) بالإنجليزية لأول مرة ١٧٧٩م، وبالفرنسية في ١٧٩٩م وفيما بعد أصبح مصطلح (الاستشراق) (orientalism) المعنى الأوسع لـ"التوجه نحو الثقافة الشرقية"[٢]، أما كلمة (الاستشراق) باللغة الإنجليزية فهي مشتقة من كلمة الشرق (orient)، والتي تستمد أصلها من اللغة اللاتينية، ومعناها يتمحور حول طلب العلم والمعرفة والارشاد والتوجيه، مما يعني اعترافًا ضمنيًّا بأن العلم والمعرفة

---

(١) أليكسي جورافسكي، الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، د/ خلف محمد الجراد، ص ١٠٠-١٠١دار الفكر –دمشق، ط٢، ربيع الأول ١٤٢١هـ- حزيران (يونيو) ٢٠٠٠م.

(٢) جان دي جاك وارنبردغ، المستشرقون، ترجمة: أنس عبد الخالق محمود، ط١، ص ١١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٤م.

كان يطلب في هذه المنطقة.[١]

وتتميز أيضًا هذه الكلمة في الألمانية بطابع معنوي وهي: (morgan land)، وتعني بلاد الصباح، ومعروف أن الصباح تشرق فيه الشمس وتدل هذه الكلمة على تحول من المدلول الجغرافي الفلكي على التركيز على معنى الصباح الذي يتضمن معنى النور واليقظة.[٢]

**⇐ دلالات الاستشراق:**

قضية الاستشراق قضية شغلت علماءنا وباحثينا منذ زمن طويل؛ نظراً لأنَّ الاستشراق قد جعل منَّا نحن المسلمين موضوعاً للدراسة، سواء كان ذلك من حيث العقيدة أو التاريخ أو الحضارة، وهذا يُحَتِّمُ علينا أنْ نتعرف على ما يقوله المستشرقون عنا، فنشكرهم إذا أصابوا، وننبه إلى الأخطاء التي وقعوا فيها إذا لم يحالفهم التوفيق في استنتاجاتهم، ونتحاور معهم من أجل الوصول إلى الحقيقة صافية مجردة عن كل هوى أو غرض.[٣]

إنَّ أي مصطلح له دلالته التي تبرزه بشكل واضح وجلي ومن هذه المصطلحات الاستشراقية هذا المصطلح "الاستشراق "الذي يحمل دلالات عدة توضح الجوانب الهامة والمراحل الأساسية التي مر بها.

---

(١) عبد الله محمد الأمين النعيمي، الاستشراق في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، وما بعدها، فرجينيا، أمريكا ١٩٩٧م.

(٢) د/ السيد محمد الشاهد، الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين، الاجتهاد، عدد (٢٢)، ١٩٩٤م، ص١٩١، ٢١١. نقلًا عن د .مصباح منصور مطاوع، الاستشراق والتبشير، ص ١٦: ١٧، ١٤٥٢هـ- ٢٠٢٠م.

(٣) د/ أحمد محمود هويدى، الاستشراق الألمانى تاريخه وواقعه وتوجهاته المستقبلية، ص٣، القاهرة ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

أمَّا بالنسبة للدلالات التي يحملها الاستشراق بوصفه مجالاً لدراسة المشرق من ناحية الأبعاد المكانية التي يغطيها، فقد كان مصطلح (المشرق) حتى نهاية القرن التاسع عشر، يمثل الشرق الأدنى تحديدًا، لكنه كان يشمل ما تبقى من الدولة العثمانية، وبطريقة التعبير الفرنسية شمال أفريقيا أيضًا، وكان الشرق القديم يمثل الشرق الأدنى حتى انتشار المسيحية في المنطقة التي دخلت عصر الشرق المسيحي ثم عصر الشرق المسلم، إذ اعتنقت المنطقة الإسلام، وخلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين توسع نطاق مفهوم (المشرق) ليشمل قارة آسيا كلها، محتفظًا بمعنى الثقافات المجهولة -إلى حد بعيد-التي تتحدى الرجل الغربي لاستكشافها، وحتى بداية الحرب العالمية الثانية كان الاستشراق يدل بمعناه الأوسع على اتجاه ثقافي محدد في أوروبا وأمريكا الشمالية، وبمعناه الضيق كان يعني دراسات شرقية تجريبية.(١)

فالدراسات الاستشراقية هي جميع الدراسات التي تمت من طرف الباحثين الغربيين على العالم الإسلامي ولا سيما الدراسات الدينية.(٢)

**من محصلة ماسبق يتبين لنا أن مصطلح الاستشراق تميز بما يأتي:**

١-أنَّ لكلمةِ الشَّرقِ دلالات معنوية وفكرية أكثر من دلالته الجغرافية.

٢-أنَّ كلمةَ الاستشراق لا تخضع لعوامل جغرافية، بل تخضع لعوامل عدة مثل اللغة، والدين، والثقافة، والحضارة.

٣-أنَّ الاستشراقَ في مجمله أسلوب غربي، ومنهج بحثي لدراسة الشرق وعلومه من

---

(١) جان دي جاك واردنبرع، المستشرقون، ص١١ وما بعدها.

(٢) د/ الخضر بن بو زيد، الدراسات الاستشراقية وخطرها على العقيدة والفكر الإسلامي، دراسات استشراقية، عدد١٥، ٢٠١٨م، ص ١٣تصدر
عن المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العراق.

أديان ولغة وتاريخ وحضارة.

٤ – الاستشراق يدل بمعناه الأوسع على اتجاه ثقافي محدد في أوروبا وأمريكا الشمالية، وبمعناه الضيق على دراسات شرقية مناطقية.

٥ – تخلي الغربيون عن مصطلح (الاستشراق)، وقد استبدلوه بمصطلح (الاستعراب)، وذلكَ بعدَ أنْ أصابت سهام النقد كثيرًا من المستشرقين بسبب الدور الذي قاموا به في التنصير والاستعمار.

**⇐أسباب ظهور الاستشراق:**

لظهور الاستشراق علي الساحة العربية والإسلامية أسباب عدة وآراء مختلفة، يعتبرها البعض مظاهر هامة ومنطلقات رئيسية في تاريخ الاستشراق وحركته، بل اعتبرها البعض البدايات الحقيقية للاستشراق ولهذا يجب توضيحها ولو علي نحو مختصر:

**إشكالية تأريخ الاستشراق:**

حين يكون الحديث عن تاريخ الاستشراق، فلا بد أن يكون المدخل إليه من خلال الأبعاد التاريخية لهذا الفكر والتي تشكل في مجملها كماً من المعارف التي تفتح الطريق أمام رصد تاريخي يفتح آفاقًا نحو العقلية الغربية عامة والاستشراقية خاصة، والاستشراق جزء من الحضارة الغربية، ولا يمكن دراسته دون معرفة التطور الحضاري والتقدم الفكري والنتائج السياسية التي تسيطر على الحضارة الغربية وعقلية صاحب القرار فيها[(١)].

إنَّ المتصفح للمؤلفات والكتابات الكثيرة في مجال الاستشراق سيخرج لا محالة باستنتاج مفاده أن الباحثين لم يتوصلوا إلى تأريخ محدد وموحد لمولد الاستشراق، فقد

(١) د. يوسف عز الدين، نحو دراسة علمية منظمة، والاستشراق وبواعثه وماله وما عليه، مجلة المنهل، العدد (٥٤٠)، المجلد (٥٩) العام (٦٣)، المحرم١٤١٨هـ، مايو١٩٩٧، ص٦١ .

تشعبت الآراء واختلفت باختلاف الدارسين وتصوراتهم وتحليلهم لدواعي ودوافع نشأة الظاهرة الاستشراقية وما أحاط بها وما صاحبها من تفاعلات وما لاحقها من تطورات، وكذلك باختلاف ثقافة الكتاب ومرجعيتهم الدينية ومنطلقاتهم الفكرية ومصادرهم المعتمدة. وكان هذا العجز باعتبار أنه[١] من الصعب تحديد تاريخ معين لبداية الاستشراق[٢]، لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عنى بالدراسات الشرقية ولا في أي وقت كان ذلك[٣].

## ⇐الاستشراق ونشأته:[٤]

اختلف الباحثون في تحديد بداية الاستشراق علي الوجه التالي:

**أ- الرأي الأول**: يرى أن بداية الاستشراق كانت في القرن السابع الهجري، وأخريات القرن الثاني عشر الميلادي، وكانت حركة الاستشراق تابعة للكنيسة الكاثوليكية، وخاضعة لكبار أحبارها، لا تتحرك إلا بناءً علي توجيهٍ منها.

**ب- الرأي الثاني**: يرى أن الاستشراق بدأ في أعقاب الحروب الصليبية التي استمرت زهاء قرنين من الزمان (١٠٩٧ – ١٢٩٥)[٥].

---

(١) عبد الرحيم الوهابى، إشكالية تأريخ بداية الاستشراق، الوعى الإسلامى، العدد٣٧٩، ربيع الأول١٤١٨هـ – يوليو / أغسطس١٩٩٧م، ص٣٠ تصدر عن وزارة الاوقاف بدولة الكويت.

(٢) د. محمود حمدى زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية، ص١٨ .

(٣) د. ميشال جحا، الدراسات العربية الإسلامية فى أوروبا، ص١٨، ط١، العدد٢٨، معهد الانماء العربى–بيروت ومصطفى السباعى، الاستشراق والمستشرقون، ص١٣، ط٣، المكتب الإسلامى – بيروت دمشق .

(٤) الاستشراق والتبشير: عقبات ....وتحديات، للدكتور / محمود محمد رسلان، ص٥٩، جامعة الأزهر –المنصورة .

(٥) انظر د- عبد الجليل شلبي: صور استشراقية ص٢٥ – ٢٨ نشر مجمع البحوث الإسلامية ١٣٩٨ – =

**ت- الرأي الثالث**: يرى أن الغرب يؤرخ لبدء وجود " الاستشراق الرسمي " بصدور مجمع " فينا " الكنسي عام ١٣١٢ م بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية، ولكن الإشارة هنا إلي " الاستشراق الرسمي " تدل علي أنه كان هناك استشراق غير رسمي قبل هذا التاريخ .(١)

**ث- الرأي الرابع**: يرى أن ظهور الاستشراق يعود إلي قيام الدولة الإسلامية في الأندلس، والذي انصرف اهتمامها البالغ إلي العلم وإقامة دور العلم في جميع التخصصات، مما جعل بعض الرهبان الغربيين يفدون علي الأندلس في إبان عظمتها ومجدها و وتثقفوا في مدارسها و وترجموا القرآن والكتب العربية إلي لغاتهم وتتلمذوا علي علماء المسلمين في مختلف العلوم وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات.

ومن أوائل هؤلاء الرهبان الراهب الفرنسي " جريرديأوراليك " ٩٤٠-١٠٠٣ م، الذي قصد الأندلس للتعلم، ثم تقلد منصب البابوية في روما باسم سلفستر الثاني ٩٩٩-١٠٠٣ .(٢)

وبطرس المحترم (١٠٩٢-١١٥٦م٩ و وجيراردي كريمون (١١٤-١١٨٧م) وكان من نشاط هؤلاء الرهبان بعد عودتهم إلي بلادهم نشر ثقافة العرب، وأشهر علمائهم، ثم أسست المعاهد للدراسات العربية أمثال مدرسة " باردي " العربية، وأخذت الأديرة والمدارس العربية تدرس مؤلفات العرب المترجمة الي اللاتينية، وهي لغة العلم، في جميع بلاد أوروبا يومئذ، واستمرت الجامعات الغربية تعتمد علي كتب العرب وتعتبرها المراجع الأصلية

---

=

١٩٧٨ م

(١) ادوارد سعيد: الاستشراق ص٨٠ .

(٢) نجيب العقيقي، المستشرقون ج١/ ١١٠، ط دار المعارف -القاهرة، د / مصطفي السباعي، المستشرقون مالهم وما عليهم ص١٣، ١٤، المكتب الإسلامي ببيروت .

للدراسة قرابة ستة قرون .[١]

ويمثل عام ١٣١٢م منعطفًا مهمًا على صعيد بداية الاستشراق، حيث أقرت السلطة الكنسية العالمية في فيينا ضرورة تعليم اللغات الشرقية في الجامعات الأوروبية مثل باريس وأكسفورد وبولونيا، وهذا التاريخ يمثل بداية الاستشراق اللاهوتي فعليًا، وذلك بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية، وفي هذا الاطار يذكر إدوارد سعيد أن الاستشراق اللاهوتي الرسمي قد بدأ وجوده حين صدور قرار مجمع فيينا الكنسي سنة ١٣١٢م، وذلك بإنشاء عدد من كراسي الأستاذية في العربية والعبرية في جامعات باريسوأكسفورد وبولونيا وأفينيون.[٢]

وهناك عدة عوامل أسهمت في ظهور الاستشراق الذي يعود أساسه إلى الصراع بين الاسلام والمسيحية، فالفتوحات الإسلامية في الشام وحروب المسلمين مع البيزنطيين من جهة، وفتح المسلمين للأندلس واجتيازهم إلى بلاد الفرنجة ووصولهم إلى حوض باريس من جهةٍ أخرى كان دافعًا قويًا للأوروبيين في مواجهة المسلمين.

وعندما زال الحاجز النفسي بعد هزيمة المسلمين في معركة (بلاط الشهداء)[٣]، بدأ

---

(١) نجيب العقيقي، المستشرقون، ج١، صـ١١٠

(٢) محمد إبراهيم الفيومي، الاستشراق رسالة استعمار، ص ٣٠دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٣م ٠

(٣) معركة بلاط الشهداء أومعركة تور (بالإنجليزية: Battle of Tours) أومعركة بواتييه (بالفرنسية: Bataille de Poitiers) هي معركة دارت في رمضان١١٤هـ/ أكتوبر في مكان يقع بين مدينتي بواتييه وتور الفرنسيتين، وكانت بين قوات مسلمين تحت لواء الدولة الأموية، بقيادة والي الأندلس عبد الرحمن الغافقي من جهة، وقوات الفرنجة والبورغنديين، بقيادة (شارل مارتل) من جهة أخرى، وانتهت بانتصار قوات الفرنجة وانسحاب جيش المسلمين بعد مقتل قائده عبد الرحمن الغافقي. د/ خليل إبراهيم السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس (ص: ٥٨) الناشر: دار =

الأوروبيون ينظمون أنفسهم مدفوعين بروح صليبية عارمة، بلغت ذروتها عندما شنت أوروبا حملات كبيرة ضد المسلمين واستولوا على بيت المقدس، هناك عكفوا على دراسة الثقافة العربية، وقبل ذلك وبعده كانت المدن الإسلامية تعج بالطلاب من أوروبا، خاصة المدن في بلاد المغرب، ولم يكونوا جميعا من الطلاب، فقد كان بعضهم يبحث عن الطرق الناجعة لمواجهةالإسلام، كما أنَّ فشل الحروب الصليبية كان له دور كبير في ظهور حركة الاستشراق من حيث اقتناع الأوروبيين بعدم جدوى القوة العسكرية في مواجهة الإسلام، وهذا الذي اقتنع به لويس التاسع عندما كان مأسورا في مصر(١)من جهة ثانية فتوح العرب في صقلية والأندلس وجنوب فرنسا، جعلت أوروبا تستيقظ من غفوتها إلى وعيها الثقافي الجديد، دون أن نغفل سقوط القسطنطينية بأيدي الأتراك، وهو عامل مهم من عوامل نشأة الاستشراق فبسقوطها فتح باب أوروبا على الإسلام، ومن هنا لم تبق عداوة أوروبا للإسلام قضية ذات أهمية ثقافية فحسب بل ذات أهمية سياسية أيضًا.(٢)

## ⇐رأى علماء الغرب في نشأة الاستشراق:

يشكل رأى علماء الغرب في الموضوع نصف القضية نظراً لأن نشأة الاستشراق تتعلق تعلقًا ذاتيا بالمجتمع الغربي، بمعنى أن هذا المجتمع يشكل بوتقة الانصهار التي صنع فيها الفكر الاستشراقي، وهنا لا أود عملية استرجاع للتواريخ أو إعادة للعرض بقدر ما هي وفرة

---

=

الكتاب الجديد المتحدة – بيروت، ومحمد عنان. دولة الإسلام في الأندلس (١/ ٩٢) الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، والمقري، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب (٣/ ١٥) الناشر: دار صادر ببيروت.

(١) مصطفي السباعي، الاستشراق والمستشرقون، ص١٤.

(٢) محمد إبراهيم الفيومي، الاستشراق رسالة استعمار، ص٣٠.

في المعالجة ومساهمة ضرورية من أجل تحديد البداية الحقيقية للفكر الاستشراقي من منظور غربي.

**أما آراء المستشرقين أنفسهم في بداية الاستشراق ونشأته فتتلخص فيما يلى:**

**يرى (رودى بارت)[1] (Rudi Paret)** أنه عند تحديد بداية حقيقية للفكر الاستشراقى "فإن الباحث سيواجه مشاكل بدون شك، ومع ذلك فعليه أن يوجه نظره إلى التاريخ نفسه وتطور الاستشراق ذاته، وبناءً على هذا الأساس يستطيع أن يقول أن بداية الدراسات العربية والإسلامية ترجع إلى القرن الثاني عشر، إذ فيه ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية لأول مرة عام ١١٤٣م بتوجيه الأب (فيزابل)، وفى هذا القرن أيضا أُلِّفَ أول قاموس لاتيني عربي، ولذلك كله كانت بداية الاستشراق في القرن الثاني عشر[2]، ويذهب الأب (لامنس)[3] إلى أن الأحبار الرومانيين قرروا دراسة اللغة العربية وآدابها في مدارس منذ القرن الثالث عشر، غير أن هذا القرار لم ينفذ إلا فترة قصيرة من الزمان، وفى عام ١٥١٩م دعا ملك فرنسا (فرنسيس الأول) الأستاذ (بوليس بوستينيا) لتدريس العربية والعبرية في عاصمة مملكته، ويؤكد لامنس أن بقية الدول الأوروبية كانت تجهل علم العربية في بداية القرن السادس عشر حتى في الأندلس نفسها.[4]

---

(١) مستشرق ألماني معاصر له آثار عديده فى مجال الاستشراق أشهرها كتاب الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية قام بترجمته الدكتور مصطفى ماهر.

(٢) رودي بارت، الدراسات العربية الإسلامية فى الجامعات الألمانية، ترجمة مصطف ماهر، ص٩، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

(٣) مشتشرق من مدرسة الرهبان بلبنان وهو من أوائل الخرجين من مدرسة القديس يوسف .

(٤) هنريلامنس، درس العربية فيأوروبا، المشرق ١٥نوفمبر، نقلا عن أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق ص ٥٧، طبعة دار المعارف – القاهرة١٩٦٤م.

**ويرى (برنارد لويس)**[١] أن العلماء أخطأوا حينما ظلوا يعتقدون حقبة طويلة من الزمن أن أول اتصال جدى بين الثقافة الإسلامية وثقافة أوروبا قد حدث نتيجة للحروب الصليبية ثم يؤكد أن حركة الفكر والعلوم العربية وصلت إلى الغرب عامة، وبريطانيا خاصة عن طريق آخر لا عن طريق الحروب المذكورة.[٢]

**بناءً على ما سبق يمكن إرجاع ظهور الاستشراق إلى عدة أسباب:**

**الأول**: بدأ الاستشراق بداية مبكرة جدًا، تمثل فيما يعرف بـ (المجادلات الدينية بين المسيحية والإسلام) .

**الثاني**: يري كثيرٌ من الباحثين أن الأندلس تعتبر الحاضنة الأكبر للدراسات الاستشراقية نظرًا لكثرة الدارسين الأوروبيين فيها في العصور الوسطى.

**الثالث**: لعبت الحروب الصليبية دورًا كبيرًا في مجال ظهور الاستشراق.

---

(١) ولد في لندن عام ١٩١٦م، وحصل علي الليسانس، مع مرتبة الشرف الأولي من جامعة لندن (١٩٣٦م) ودبلوم الدراسات السامية من جامعة باريس (١٩٣٧م) والدكتوراه من جامعة لندن (١٩٣٩م) وهو أستاذ الدراسات الخاصة بالشرق الأدنى في جامعة برنستون– وعضو دائم في معهد الدراسات المتقدمة في برنستون– نيوجرسي (١٩٧٤م) وكان قد عين من قبل مساعد محاضر في التاريخ الاسلامي في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن (١٩٣٨م) من آثاره: أصول الاسماعيلية، وهو كتاب نفيس يصنف الشيعة الي شيع معتدلة ومغالية (كمبريدج ١٩٤٠م، وقد نقل الي العربية، وتاريخ اهتمام الانجليز بالعلوم العربية (وهو ست مقالات نشرت في المستمع العربي، ثم علي حده)، والطبعة الثانية ١٩٤١) والسياسة والدبلوماسية العربية (لندن) ١٩٤٧)، والعرب في التاريخ (لندن ١٩٥٠، والطبعة الخامسة ١٩٧٠، وقد نقله الى العربية د/ نبيه أمين فارس، و د/ محمد يوسف زايد، بيروت ١٩٥٤ . (المستشرقون، العقيقي، جزء ٢ صـ ١٤٣) .

(٢) برنارد لويس، تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية، ص٣، ٤، نقلا عن د. أحمد سمايلوفتش، ص٥٧، ٥٨ .

**الرابع**: يُعَدُّ عام ١٣١٢م تحولًا هامًا وخطيرًا في مجال الدراسات الاستشراقية وذلك بإنشاء كراسي علمية مختصة في أكبر جامعات أوروبا .

**الخامس**: سقوط القسطنطينية في أيدي الأتراك، حيثُ أدى ذلكَ إِلَى تحول الاهتمام بالإسلام من اعتباره شأن ثقافي إلي اعتباره مسألة ذات شأن سياسي هام جدا.

**ثانياً: مراحل تطور الاستشراق:**

ليس من السهل تحديد مراحل تطور الاستشراق تحديدًا دقيقًا، ولكن يمكن تقسيم هذه المراحل تاريخيًا وفكريًا بشكل إجمالي يعتمد على إبراز السمة الأساسية لكل مرحلة بغض النظر عن التفاوت والتداخل في بعض المراحل:

**المرحلة الأولى**، وهي ما قبل سقوط الأندلس وأفول نجم الحضارة الإسلامية، حيث اتخذ فيها الأوروبيون دورًا دفاعيًا في وجه الإسلام، حيث كانت كتاباتهم تتسم بردة الفعل ودراسة الإسلام من أجل التصدي له، وفيها أفادت أوروبا من الحضارة الإسلامية المزدهرة في الأندلس والمغرب ومصر والشام، **وأما المرحلة الثانية** من الاستشراق فهي مرحلة هادفة من قبل الغربيين إلى دراسة الإسلام عقيدة وشريعة وتاريخًا، **وأما المرحلة الثالثة** فقدْ شهدت ظهور الاستشراق العلمي بدراسة لسائر أحوال الشرق أديانه وعلومه وتاريخه، ومن بين مظاهر الاستشراق الأولى تعليم اللغة العربية؛ حيث قامت فرنسا بإنشاء مدارس لتدريس اللغة العربية؛ مثل (ريمس)، و (شارتر)، وذلك منذ القرن الرابع عشر[١]، أما في القرنين السادس عشر والسابع عشر فقد شهدَ الاستشراق ازدهارًا في النواحي العلمية والدراسية المتخصصة؛ حيثُ تمَّ جمعُ مجموعة هامة من المخطوطات، وفي تلك الفترة تمَّ إنشاء أول مطبعة عربية في أوروبا من طرف الكردينال فرناندو دي مدتشي[٢] دوق توسكانا[٣].

---

(١) الدكتور/ محمود رسلان، الاستشراق والتبشير: عقبات ....وتحديات، ص٥٩، ساسي سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي، ج١/ ١٠٧.

(٢) دكتور محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، صـ٣٠

(٣) فرناندو هو الابن الخامس لكوزيمو الأول غراندوق توسكانا وإليونوا طليطلة (١٥١٩ -٦٢) ابنة بيدرو ألفاريز طليطلة والي نابولي الأسباني. نصب كاردينالا عام ١٥٦٢ في سن الرابعة عشرة، إثر وفاة شقيقته الكاردينل جوفاني .

وفي القرن السابع عشر ظهرت التجارب الأولى لتعاطي المستشرقين مع الدراسات الإسلامية بالإشراف على نشرْ الكتب ومحاولة تصحيحها[١]، وعندما أقبل القرن الثامن عشر كان الاستشراق قد وطَّد أقدامه وتوسع بشكل غير مسبوق، وتحدَّدت معالمه إلى حدٍّ بعيد، حيث شهدِ إنشاء كرُسيين للغة العربية في جامعتي أكسفورد، وكامبريدج[٢].

وقد مثَّلتْ الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨م مُنْعَرجًا هامًا في تطور الاستشراق، وكان من نتائجها الاتصال المباشر بالشرق والتَّعرف على أحواله السياسية والاقتصادية والاجتماعية[٣]، كما شَرَعَ الغربيون في تأسيس الجمعيات العلمية التي كانت نقطةَ انطلاقٍ كبرى للاستشراق؛ حيثُ تجمَّعتْ فيها العناصر العلمية والإدارية والمالية، فأسهمَت إسهاماً فعَّالا في البحث والاستكشاف[٤]، ولم يتبع تطور الاستشراق من مراحله الأولى في العصر الوسيط إلى مرحلة التحول النهائي إلى علم قائم على النقد التاريخي طريقا مباشرة مستقيمة، ولم يتم _ عند الاشتغال بالشرق وبـ (سيدنا) محمد ﷺ وبالدين الذى نشره _ التحرر من طريقة البحث اللاهوتية المبنية على الدفع والمشاحنة إلا في العصر الحديث تدريجيا. ولكن الجهود التي بذلت لإنصاف عالم الشرق ورسم صورة له مستمدة من المصادر تعرضت من حين لآخر لاتجاهات اعترضت سبيلها، أو طغت عليها وأدت إلى تشويه صورته كان من بين ممثلي حركة التنوير من رأوا في النبي العربي صلى الله عليه و آله وسلم أداة لله، ومشرعاً حكيماً، ورسولاً للفضيلة الناطقة بكلمة الدين الطبيعي الفطري ومبشرا به[٥]".

---

(١) عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٤، ص٢٨٤.

(٢) يحيى مراد، معجم أسماء المستشرقين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥ه- ٢٠٠٤م، ص٤٤.

(٣) ساسي سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي، ج ١، ص٩١.

(٤) يحيى مراد، معجم أسماء المستشرقين، ص٤٥.

(٥) رودى بارت، الدراسات الإسلامية والعربية، ترجمة مصطفى ماهر، ص١٥.

ومع بداية القرن التاسع عشر بدأت الدراسات الاستشراقية بأسلوب أشمل وأكثر تنظيماً مصحوبة بروح دينية صليبية واستعمارية غربية حاقدة.

وحينما دخل العالم أعتاب القرن العشرين جرت أحداث هامة وتحوُّلات في العالم العربي، فوفدَ عددٌ كبيرٌ من المستشرقين المتخصصين للتدريس بالجامعة المصرية والعربية، لعل من أبرزهم: نلينو، ماسينيون، شاخت، توماس أرنولد، الذين حاضروا في الفقه والآداب العربية والفلسفة والعلوم والفن[1]. وبدأَ جيل جديد من المستشرقين يغوص في أعماق الفكر والدين والأدب العربي؛ فقد اتَّجهت عنايتهم بالإسلام وشعوبه وأوضاعه الفكرية والاجتماعية، وقد تميَّز الاستشراق في هذا القرن بتخصُّص كل مستشرق في فرع معيَّن من فروع المعارف الشرقية، وانعقدت العديد من المؤتمرات، أسهمَ المستشرقون فيها بنصيب وافر من البحوث والمقالات، وحرص الأوروبيون والأمريكيون على إنشاء مراكز للدراسات العربية والإسلامية في العالم الإسلامي؛ لتكون أقرب إلى هذه البلاد، يستخدمها الطلاب والباحثون الغربيون كمراكز للبحث والدراسة، ولنشرْ الثقافة العربية عموماً.

**وخلاصة ما سبق فان المراحل التي يمكن الإشارة إليها هي:**

(١) مرحلة صد الفكر الإسلامي عن أوروبا، وهي المرحلة التي كان أبناء أوروبا يدرسون في الأندلس وصقلية وجنوب إيطاليا، وهنا تكونت بعض الكتابات التي تمثل الشُّبه التي أثاروها على الإسلام وشريعته رجاء المحافظة على أبنائهم من التأثر بالإسلام واتباعه.

(٢) مرحلة (التبشير) وهي المرحلة التي صاحبت الحروب الصليبية الأخيرة، وأكبر الظن أنها استفادت مما كتبه الرهبان والقساوسة في تلك المرحلة.

(٣) مرحلة (المستشرقين) وهي المرحلة الأخيرة، والفرق بين المرحلة الثالثة

---

(١) ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، ١/ ٦٣.

والمرحلتين السابقتين هو أن الأولى والثانية تقوم على الشتم والطعن المباشر، وغالبا ما كانت تتعامل مع عامة الناس، وأما المرحلة الثالثة فنوع جديد تواصى به أكابر المستشرقين محافظة على العمل الاستشراقي؛ لأنهم شعروا أن طريقتهم السابقة لم تعد تفيدهم في الوصول إلى هدفهم.(١)

**من ذلكَ نعلم** أنَّ الفكرَ الاستشراقي قد مرَّ بصورٍ وأنماطٍ فكرية متنوعة عبر مسيرته التاريخية ولكل نمط صدى فكري مختلف بكل المراحل التاريخية الثلاث وصولا إلى إنشاء العديد من مراكز الدراسات الإسلامية والعربية في معظم جامعات أوروبا وأمريكا.

وختاماً: ونحن في استعراض النشأة التاريخية للاستشراق يجبُ أن أشير إلى أن الغرب قد تخلى في هذه الآونة عن مصطلح (الاستشراق)، واستبدله بمصطلح الاستعراب (Arabistas) ويصر الباحثون الأسبان على هذه التسمية على أنها تخصهم وحدهم.

(١) د. عابد بن محمد السفياني، المستشرقون، ص ٢٤، ط ١٤١٢ه-١٩٩٢م.

## المبحث الثاني
## أهل السنة والجماعة في الدراسات الاستشراقية
## (عرض لأهم الرؤى الاستشراقية المتعلقة بأهل السنة والجماعة)

مَا سبق بيانه في الصفحات السابقة هو إجمالٌ معرفي يحتاج إلى شيء من التفصيل، ومن أجل ذلك أودُ أن ألقي نظرة على مفهوم أهل السنة في الدراسات الإستشراقية، بهدف البحث عن طبيعة هذا التناول الاستشراقي لهذا المصطلح، ولهذا فبعد أن استعرضتُ تاريخ الدراسات الاستشراقية أتوقفُ علي نحوٍ موجز أمام آراء بعض المستشرقين المهتمين بالدراسات المتعلقة بأهل السنة، وحقيقةً فإني لا أستطيعُ في هذه الدراسة أن أستعرضَ كلَ ما جاء من نصوصٍ استشراقية متعلقة بأهل السنة والجماعة، ولكن سأعرضُ لبعض النصوص التي توضح الفكرة وتختصر المطلوب لدى المستشرقين، **ومن أبرز هؤلاء المستشرقين**:

### أولاً: (مونتجمري وات)[1]:

وهو أحدُ المستشرقين الكبار الذين لهم باعٌ كبيرٌ في مجال الفكر والدراسات الإسلامية، وقد تحدث (وات) عن أهل السنة والجماعة من خلال مقالة تحت عنوان (الجماعة والفرق) واستهلها بقوله: (تعالج هذه المقالة المفهوم الذى اصطنعه العلماء المسلمون في عصور الإسلام الوسيط للأمة الإسلامية وعلاقتها بالفِرَقِ. وكلمة الفرق هنا تحمل المعنى نفسه الذي استعمله مؤلفو كتب الفرق كالأشعري، والبغدادي، والشهرستاني[2]".[1]

---

(١) **مونتجمري وات**: عميد قسم الدراسات العربية في جامعة ادنبرا. من آثاره: عوامل انتشار الإسلام، الإسلام والجماعة الموحدة، وهو دراسة فلسفية اجتماعية لرد أصل الوحدة العربية إلى الإسلام، ومحمد في مكة. نجيب العقيقي، المستشرقون، ١/ ٥٥٤، ط٢، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤م.

(٢) **الشهرستاني**: هو أبو الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، المتكلم على مذهب الأشعري، ولد بشهرستان سنة٤٦٧هـ، كان إمامًا مبرزًا برع في الفقه، وقرأ الكلام على أبي =

وهذا القول مردودٌ عليه لأن هذا المصطلح (أي مصطلح أهل السنة والجماعة) ليس مصطنعًا من قِبَلِ العلماء المسلمين، وإنما هو مثبت في الأحاديث النبوية الصحيحة، منها ما رواه الإمام الترمذي (رحمه الله) بسند صحيح عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الكَذِبُ حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدَ الشَّاهِدُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ، أَلَا لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ، عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمُ الجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ»(٢).

ويواصل (وات) حديثه فيقول: (هناك حقيقة غريبة يمكن لنا اعتمادها بداية ملائمة لمناقشة هذا الموضوع، وهى أنه عموماً كان يُتَوَقع من العلماء المسلمين أن يحاولوا التقليل من عدد الفرق، وأن لا يستفيضوا في الحديث عنها؛ ولكننا نجد عكس ذلك تمامًا، فالمؤلفون

---

=

القاسم الأنصاري وتفرد فيه، أغنى المكتبة الإسلامية بالكثير من الكتب والمؤلفات أهمها: نهاية الإقدام في علم الكلام، والملل والنحل، والإرشاد إلى عقائد العباد، وتاريخ الحكماء، وكان كثير المحفوظ حسن المحاورة.سمع الحديث من علي بن أحمد المديني بنيسابور ومن غيره، توفي سنة ٥٤٨ هـ.ينظر: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق/ إحسان عباس، ط دار صادر، بيروت- لبنان، ٤/ ٢٧٤: ٢٧٣، وخير الدين الزركلي، الأعلام، ط دار العلم للملايين ٦/ ٢١٥.

(١) مونتجمري وات، الجماعة والفرق، ترجمة ناهد جعفر.مجلة الاجتهاد، العدد (٢٠) ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ص٩، دار الاجتهاد، بيروت.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، في أَبْوَابُ الْفِتَنِ، بَابُ مَاجَاءَفِي لُزُومِ الجَمَاعَةِ (٤/ ٤٦٦) ح (٢١٦٥)، وقال: (حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ).

الذين أشرنا إليهم آنفا ضخموا عدد تلك الفرق) .[١]

وهذه الحقيقة وإن كانت غريبة عند (مونتجمريوات) إلا أنها ليست غريبة على المسلمين، فليسوا كالذين يكتمون آيات الله من أجل ثمن بخس، أو من أجل مصالح خاصة، فيؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض.

فإن مجرد عدم البوح ببعض القضايا المهمة دليلٌ على عدم أمانته لحمل هذا العلم الذى قال فيه رسول الله ﷺ «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ»[٢].

ثم يستشهد (وات) بالمستشرق المجري (جولد تسيهر)[٣]، وبتعليقه على هذه الظاهرة الغريبة – فيمايرى هو – فيقول: (ولقد كان إجناتس جولد تسيهر المستشرق المجري، أول من لاحظ هذه الظاهرة، وربطها بحديث متداول وردت أقدم صيغه عند الدارمي، وفيه يقول الرسول ﷺ ((ألم ينقسم أهل الكتاب من قبلكم إلى اثنتين وسبعين ملة – فرقة – وستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين ملة، كلها في النار إلا واحدة في الجنة))[٤].[١]

---

(١) مونتجمري وات، الجماعة والفرق، ص٩: ١٠.

(٢) أخرجه الإمام الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ١٢٨) ح ١٣٣ صحيح.

(٣) جولد تسيهر: مستشرق مجري يهودي من أعماله ك (الظاهرية مذهبهم وتاريخهم) و (العقيدة والشريعة في الإسلام) و (مذاهب التفسير الإسلامي) . وله اهتمام بالدراسات الشرقية . ينظر: موسوعة المستشرقين، بدوي، ص١٩٧ .٢٠٢٠.

(٤) أخرجه الإمام أبو داود في سننه، كتابِ السُّنَّة، بابُ شرحِ السُّنَّة (٧/ ٦) ح (٤٥٩٧) تحقيق: الأرنؤوط، ومحَمَّد كامِل، ط: دار الرسالة العالمية، والإمام الدارمي في سننه، كتابِ السِّيَر، بَابُ: فِي افْتِرَاقِ هَذِهِ الْأُمَّة (٣/ ١٦٣٧) ح (٢٥٦٠) تحقيق: حسين سليم أسد، ط: دار المغني، المملكة العربية السعودية، =

ويتابع (جولد تسيهر) مناقشته بالذهاب إلى أن هذا الحديث قد ظهر نتيجة سوء فهم لحديث مشابه موجود في صحيحي الإمامين البخاري ومسلم (رحمهما الله)، عن أبي هريرةرضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»(٢).

ويلاقي ذهاب (جولد تسيهر) إلى أن حديث الفِرَقِ قدْ ظَهَرَ (إثر سوء فهم للأحاديث الشريفة عن الثلاث وسبعين فضيلة بعض المعقولية للوهلة الأولى، إذ إنه من الصعب أن ندرك لماذا يريد مؤسس ديانة ما أن يتباهى بأعداد الفرق التي تنقسم إليها أمته، وإذا افترضنا أن الحديث قد اخترعه مسلمون متأخرون، فسوف تواجهنا نفس الصعوبة في إدراك لما يريدون التباهي بتعددية الفرق؟! )(٣).

وهذا الكلام مرفوض شكلًا وموضوعًا بالأدلة المثبتة الصحيحة، فالحديث الأول الذى يتحدث عن شعب الإيمان لا علاقة له بالحديث الثاني من قريب أو بعيد، فكل منهما له وجهته؛ الأول يتحدث عن فضائل الإيمان وشعبه، والثاني يتحدث عن افتراق الأمم الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام، كما أن حديث الافتراق يتحدث عن أمة الدعوة لا أمة الإجابة، فأمة الدعوة هم كل من تصل إليه دعوة النبي ﷺ أمَّا أمة الإجابة فهم أتباع الرسالة،

---

=

كلاهما من حديث مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَامَ فِينَا، فَقَالَ: «ألا إِنَّ مَن قبلَكم من أهلِ الكتابِ افتَرقوا على ثِنتين وسبعين مِلَّةً، وإِنَّ هذهِ المِلَّةَ ستَفترِقُ على ثلاثٍ وسبعين: ثِنتانِ وسبعونَ في النَّارِ، وواحدةٌ في الجنَّةِ» بإسنادٍ صحيح، واللفظ للدارمي.

(١) الجماعة والفرق، ص١٠.

(٢) أخرجه الإمام البخاري، كتابِ الإيمانِ، بَابُ أُمُورِ الإِيمَانِ (١/ ١١) ح٩، والإمام مسلم، كتابِ الإيمانِ، بَابُ شُعَبِ الْإِيمَانِ (١/ ٦٣) ح ٣٥، واللفظ له.

(٣) مونتجمريوات، الجماعة والفرق، ص١٠.

وهؤلاء منهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله.

أضف إلى ذلك: أن عددًا كبيراً من المفكرين المعاصرين قد تأثروا بأفكار هؤلاء المستشرقين، ومن بينهم الدكتور

(عبد الرحمن بدوي)[1]، حيثُ قال: " ومع ذلك فلا يمكن أن يكون الحديث صحيحًا للأسباب الآتية:

- إن ذكر هذه الأعداد المحددة المتوالية ٧١، ٧٢، ٧٣ أمر مفتعل لا يمكن تصديقه فضلًا عن أن يصدر مثله عن النبي ﷺ.
- إنه ليس في وسع النبي ﷺ، أن يتنبأ مقدمًا بعدد الفرق التي سيفترق عليها المسلمون.
- لا نجد لهذا الحديث ذكرًا فيما ورد لنا من مؤلفات من القرن الثاني، بل والقرن الثالث الهجري، ولو كان صحيحًا لورد في عهد متقدم.
- أعطت كل فرق لختام الحديث الرواية التي تناسبها، فأهل السنة جعلوا الفرقة الناجية هي أهل السنة والمعتزلة جعلوها فرقة المعتزلة، وهكذا "[2].

**وهذا الكلام مردود بما يلي:**

١ -أن هذا الحديث صحيحٌ مشهور (كما بينتُ في تخريجه)، فقد رواه اثنا عشر صحابيًا: علي، وسعد، وابن عمر، وأنس، وأبو هريرة، وأبو الدرداء، وابن عمرو، وعوف بن مالك،

---

(١) أحد أبرز أساتذة الفلسفة العرب في القرن العشرين وأغزرهم إنتاجًا، إذ شملت أعماله أكثر من ١٥٠ كتابًا تتوزع ما بين تحقيق وترجمة وتأليف ويعتبره بعض المهتمين بالفلسفة من العرب أول فيلسوف وجودي مصري، وذلك لشدة تأثره ببعض الوجوديين الأوروبيين وعلي رأسهم الفيلسفوف الألماني مارتن هايدجر .

(٢) ينظر: د/ عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين (المعتزلة - الأشاعرة - الإسماعيلية - القرامطة - النصيرية)، ص ٣٤. دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، أبريل١٩٩٧.

وأبو أمامة، ومعاوية، وجابر، وعمرو بن عوف المزني (رضي الله عنهم)، وروي عنهم بأكثر من أربعين طريقًا، وأجمع العلماء على قبوله.

٢-أن في الحديث دلالة على استحقاق تلك الفرق للنار لسوء الاعتقاد دون السواد الأعظم المصيبين فيه، إذ الافتراق إلى الفرق المتباينة بافتراق أصول الاعتقادات المتباينة دون الأعمال السيئة لأنها مشتركة، وما به الافتراق غير ما به الاشتراك، وسوء اعتقادهم لا من حيث الكفر، فإن جمهور أهل السنة لم يكفروا أهل القبلة من المبتدعة المؤولة في غير الضرورة دون الضروريات، إذ المؤول في الضروريات الدينية ليس كالمؤول في الأصول اليقينية؛ لأن من النصوص ما علم قطعًا من الدين أنه على ظاهره، فتأويله تكذيب للنبي ﷺ.(١)

٣-يقول الشهرستاني: " فافترقت المجوس على سبعين فرقة، واليهود على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة، والمسلمون على ثلاث وسبعين فرقة، والناجية أبدًا من الفرق واحدة، إذ الحق من القضيتين المتقابلتين في واحدة، ولا يجوز أن يكون قضيتان متناقضتان ومتقابلتان على شرائع التقابل إلا أن تقتسما الصدق والكذب، فيكون الحق في إحداهما دون الأخرى ومن المحال الحكم على المتخاصمين المتضادين في أصول المعقولات بأنهما محقان صدقًا".(٢)

وَيَرُدُّ (وات) على (جولد تسيهر) ردًا ظاهره الرحمة وباطنه العذاب مؤكداً افتراءه على

---

(١) ينظر: العلامة كمال الدين أحمد البياضي الحنفي، إشارات المرام من عبارات الإمام، حققه وعلق عليه وضبطه/ يوسف عبد الرازق، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٨ه-١٩٤٩م، ص٥٠: ٥١.

(٢) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق/ أبي محمد بن محمد بن فريد، ١/ ٢١، المكتبة التوفيقية، الباب الأخضر_ سيدنا الحسين، مصر.

العلماء المسلمين فيقول: (وبما أن الحديث الشريف عن الفرق له هذه الأهمية الإيجابية لدى مؤلفي كتب الفرق، فمن غير المحتمل أن يكون قد انبثق نتيجة سوء فهم محض للحديث الشريف عن الفضائل. إذ يبدو أن تعديلا متعمداً قد أجري على الحديث ليلائم حاجة ما للجماعة. وربما أمكننا معرفة شيء ما عن تلك الحاجة إذا درسنا حقيقة غريبة أخرى في كتب الفرق، وهى أن مؤلفي تلك الكتب ذهبوا في نهجهم ضد العرف العام لدى العلماء المسلمين بعدم وصف أو تفسير آراء أولئك الذين هم على خلاف معهم، وبعدم اعتبارهم ذلك قضية ذات شأن جوهري، بل نراهم يركزون على دحضهم...وحيث إن الموقف العام كان عديم الاهتمام بالعقائد الخاطئة بصرف النظر عن إبراز الأخطاء، فإنه من الجدير بالملاحظة أن كتباً بأكملها قد تكرست لعرض الآراء التي اعتبرت ضالة... ولا شك أن أحد أسباب الاهتمام الذى أبداه المؤلفون في وصف الفرق هو التعريف بالعقيدة السنية من خلال مقارنتها بالآراء الهرطقية – المبتدعة – وعقيدة الكسب لدى الأشعريين مثل واضح على ذلك، وفيها أن كل فعل إنساني قد خلقه الله واكتسبه الإنسان. فمع أنه من الممكن تفسير تلك العقيدة بمفردها، إلا أنها ستفهم بوضوح أكثر إذا نظر إليها كوسط بين طرفي نقيض؛ الطرف الأول أو العقيدة القدرية تقول: إن الإنسان يخلق أفعاله كلها، أما الطرف الثاني أو عقيدة الجبر فتعتبر أن الإنسان مسير بأفعاله بنفس المفهوم الذى يفعل فيه الحجر حين يسقط أو الريح عندما تهب)[1].

ويختم (مونتجمري وات) مقاله هذا بعد الانتهاء من الحديث عن بعض فرق المسلمين من المعتزلة والقدرية والجبرية والشيعة وغيرهم، بالتماس العذر لنفسه بشكل غير مباشر على عدم وصول دراسته هذه لحد الكمال لصعوبة التوغل في القضية الأم التي لم يستطع

(١) مونتجمريوات، الجماعة والفرق، ص١١.

التوغل إلى لبها فيقول: (لقد كان من الممكن أن تكتمل هذه الدراسة عن أسماء الفرق بإلقاء نظرة على ما يسميه المستشرقون الغربيون مذهب أهل السنة والجماعة –وهذا دليل على عدم اعترافه بالتسمية كما ذكر في صدر المقال –ولكنها مسألة معقدة، وطرحها غير مناسب في السياق الحالي. فالتحدث عن السنة يعني اعتبار التكوين الأساسي في الإسلام فرقة من الفرق، في حين أن الإنجاز الكبير لمؤلفي كتب الفرق كان في تكوينهم لصورة الجماعة الإسلامية المتماسكة عقائديا والمتناغمة كليا، مع عدد قليل نسبيًا من المختلفين، فتصورهم للفرق غير موضوعي تاريخيًا، لكنه جزء أساسي من تلك الصورة للجماعة، كما أن الانطباع الذى نقلوه عن الشخصية المتماسكة للجماعة، قد تعزز بحقيقة أن معظم الفرق التي تم الحديث عنها قد اختفت تماما)[١].

## ثانيًا: المستشرق (دي لاسي أوليري)[٢]:

حيث قال: (إن تكوين مذهب سني في المجتمع الإسلامي هو تطور من تطورات القرنين الرابع والخامس من الهجرة، ويتصل في طبقاته بأئمة ثلاثة: هم الأشعري، والباقلاني، والغزالي، وهذا التطور مهم في أساسه بالنسبة للتاريخ الداخلي للإسلام ولتطور الإلهيات الإسلامية... ولقد ذكرنا اسم الأشعري باعتباره ممثلا للمرحلة الأولى من هذه الحركة، ولكن هذه الحركة يمثلها كذلك الماتريدي في سمرقند، والطحاوي[٣] في مصر، ولكن

---

(١) المرجع السابق.ص ١١.

(٢) مستشرق بريطاني حاضر في جامعة بريستول، وألف عدداً من الكتب عن التاريخ المبكر للعرب والأقباط.

(٣) الطحاوي: هو الإمام العلامة الحافظ صاحب التصانيف البديعة أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الحجري المصري الطحاوي الحنفي: وطحا من قرى مصر. سمع هارون بن سعيد الأيلي وعبد الغني بن رفاعة ويونس بن عبد الأعلى وغيرهم، وتفقه بالقاضي أبي خازم وكان ثقة ثبتا =

الطحاوي من بين هؤلاء قد جرت عليه ذيول النسيان، وبقيت الأشاعرة والماتريدية زمنا طويلًا تتنافسان في علم الكلام، ولا يزال هناك أتباع لمذهب الماتريدية بين المسلمين، ولكن مذهب الأشاعرة أوسع انتشارا)[١].

ويعلل دي لاسي أوليري انتشار الأشاعرة بسبب (تأسيسه مدرسة للإسكلائية السنية – الفلسفة المدرسية – سارت في تطورها فيما بعد نحو الكمال على يد الباقلاني وانتشرت بالتدريج في أنحاء العالم الإسلامي)[٢].

## ثالثًا: المستشرق سيديو[٣]:

أما المستشرق سيديو فيقول: (وعلماء الكلام قسمان: معتزلة يجعلون التعقل أساسا بمعنى أنهم يوجهون عقولهم نحو المطلوب فيحصلونه، ثم يؤولون الشرع إلى ما أدركه العقل، وسنية يجعلون الدين أساسا للتعقل، وهم أشاعرة وماتريدية)[٤].

---

=

فقيها لم يخلف مثله انتهت إليه رياسة أصحاب أبي حنيفة، ولد سنة سبع وثلاثين ومائتين، وله معاني الآثار، مات أبو جعفر في سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة. ينظر: شمس الدين الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ٣/ ٢١.

(١) الفكر العربي ومركزه فى التاريخ، دى لاسي أوليري، ت/ اسماعيل البيطار، ص١٤٩ – ١٥١، دار الكتاب اللبناني-بيروت

(٢) المرجع السابق، ص١٨٣.

(٣) سيديو: مستشرق فرنسي ولد في باريس في ٢٣ يوليو١٨٠٨م، وهو الإبن الثاني لجان جاك أمانويل سيديو الذي كان مستشرق وفلكيًا. ينظر: د/ عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ، ص ٣٤٥، دار العلم للملايين، بيروت، يوليو ١٩٩٢م.

(٤) خلاصة تاريخ العرب، سيديو ص ٢٤١ – ٢٤٢، دار الآثار – بيروت – ١٤٠٠هـ

**رابعًا: ماكدونالد[١]:**

يقول: " في الواقع ذهب أهل السنة بعيدا في استحسان التطور الفعلي للإسلام حتى أنهم أضفوا الشرعية علي الكثير من الأمور التي تتناقض مع ما جاء به النبي ".[٢] والمعروف علي فقائهم – كما يبين جولدتسيهر وماكدونالد – "علي أنهم بشر تابعون للحكومة.[٣]

من جانب أخر كانت حياة الشيعة حياة ثورية والخلفاء بالنسبة لهم ليسوا سوى طغاة غاصبين . وقد أمعن الشيعة إلي حد التطرف في التفسيرات المنطقية والغيبية للدين الإسلامي، ولذا فإنهم أتوا بالعديد من العقائد الفكرية غير العملية فيما يتعلق بقضية الخلافة[٤].

يري السنة أن الشيعة أهل بدعة على أساس أنهم شقوا عصا الإسلام ونقضوا عهدهم بالولاء للحكومة.الشيعة بالمقابل يرون أن السنة ظالمون لأنهم أطاعوا وصدقوا هؤلاء الخلفاء الذين اغتصبوا الخلافة بالقوة وحرفوها عن المبادئ والمثل النبوية[٥].

من جهة أخرى شكل السنة السواد الأعظم من المجتمع المسلم يقول شتروتمان: واجه

---

(١) ماكدونالد: مستشرق أمريكي، بريطاني المولد والتنشئة، ولد في جلاسجو ١٨٦٣م، وتوفي في سبتمبر ١٩٤٣م، صرف نشاطًا كبيرًا في التبشير المسيحي، إنتاجه العلمي يتسم بالوضوح في العرض، ومن مؤلفاته، تطور علم الكلام والفقه، والنظرية الدستورية في الإسلام. ينظر: د/ عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ، ص٥٣٨.

(٢) د . ب ماكدونالد، (الإجماع) موسوعة الإسلام: المجلد الثاني، ص٤٤٨، ر . أ نيكولسن، تاريخ الأدب العربي، ص179، أحمد أمين، ضحي الإسلام: المجلد ألأول ص٣٨٦، ط ١، لجنة التاليف والترجمة والنشر –القاهرة.

(٣) د . ب ماكدونالد، مادة (اجتهاد)، موسوعة الإسلام، المجلد الثاني ص٤٤٨.

(٤) د . دونالدسون، المذهب الشيعي: ٢٩/ ٣٠، أحمد أمين، فجر الإسلام، ص ٣٨٦.

(٥) د. دونالدسون، المذهب الشيعي: نقلا عن دراسة في سيوسيولوجيا الاسلام ص٣٢٨.

السنة المطلب الذكي بأن يكون الحكام الذين يمثلون الدولة الدينية ذوي شخصيات متدينة ومشكلة إيجاد المعادلة التي توضح أنه أيضا من الواجب الديني إبداء الطاعة للخلفاء القليلي الأهمية، وحتى السلاطين الأجانب طالما قاموا بحفظ وجود الدين والنظام(١).

إنه من المثير أن نتتبع الطرق المتنوعة التي حاول من خلالها السنة تبرير طاعتهم للحكومة بالرغم من ممارساتها غير الدينية. يبدو لي أن هنالك درجات متفاوتة من الميول الواقعية بينهم –أي السنة –في هذا الخصوص، حيث يبدو أن بعضهم أكثر واقعية من الآخرين.

لقد تمكنت من تحديد جناحين من الذين تطرقوا باتجاهين متعاكسين من القضية مع مجموعة معتدلة في الوسط، ويشبه هذا الموقف التشكيل الموجود داخل أكثر الأحزاب السياسية اليوم.

نرى أن ذوي النزعة الواقعية القليلة بين السنة أصحاب التقوى والتصوف يحاولون الدفاع عن الحكومات غير المتدينة علي أساس الضرورة. يمكن أن نأخذ الغزالي، الفقيه الصوفي المعروف الذي يسميه أهل السنة حجة الإسلام(٢)، كنموذج لهذا النوع من المواقف تجاه الحكومة حيث يقول: (ليست هذه مسامحة عن الاختيار ولكن الضرورات تبيح المحظورات، فنحن نعلم أن تناول الميتة محظور ولكن الموت أشد منه، فليت شعري من لا يساعد علي هذا ويقضي ببطلان الإمامة في عصرنا لفوات شروطها وهو عاجز عن الاستبدال بالمتصدي لها بل هو فاقد للمتصف بشروطها فأي أحواله أحسن: أن يقول القضاة معزولون

---

(١) شتروتمان، (الشيعة) موسوعة الإسلام: المجلد الرابع، نقلا عن دراسة في سيوسيولوجيا الاسلام ص٣٥.

(٢) تاريخ الفلسفة في الإسلام ت . ج .ديبور، ترجمة د.محمد عبد الهادي ابوريدة، ص١٢٨ بتصرف، لجنة التأليف والترجمة والنشر.

والولايات باطلة والأنكحة غير منعقدة وجميع تصرفات الولاة في أقطار العلم غير نافذة، وإنما الخلق كلهم مقدمون علي الحرام، أو أن يقول الإمامة منعقدة والتصرفات والولايات نافذة بحكم الحال والاضطرار، فهو بين ثلاثة أمور: إما أن يمنع الناس من الأنكحة والتصرفات المنوطة بالقضاة وهو مستحيل ومؤدى إلي تعطيل المعايش كلها ويفضي إلي تشتيت الآراء ومهلك للجماهير والدهماء .

أو يقول: إنهم يقدمون علي الأنكحة والتصرفات ولكنهم مقدمون علي الحرام، إلا أنه لا يحكم بفسقهم ومعصيتهم لضرورة الحال، ومعلوم أن البعيد مع الأبعد قريب، وأهون الشرين خير بالإضافة، ويجب علي العاقل اختياره(١).

باختصار يقول البروفسور ديفيد دو سنتيلانا: إن السنة بدأوا بإدراك أن البرنامج المثالي هو برنامج سام جدا لا ينفع للحياة العملية، ولذلك فإنهم بدأوا يتفقون أن الناس لا زالوا مدينين للحكومة بالولاء والبيعة حتى وإن كانت تلك الحكومة لا ترعي متطلبات الأحكام الإلهية، وحتي إن كانت مبنية علي أساس العنف لأنها ببساطة ووضوح الضمانة ضد الفوضى والوازع عن العنف الفردي، وبذلك فهي توفر السلم الاجتماعي وهذا هو هدف الشريعة(٢).

## خامساً: جوزيف شاخت(٣):

يعطينا شاخت ملمحا جديدا عند مناقشته لاختلافات القوانين الفعلية المستمدة من الشريعة في البلدان المسلمة حيث يقول: " كان الفقهاء أنفسهم تحت ضغط الحقائق واعين

---

(١) السير توماس أرنولد وألفرد غولوم، تراث الإسلام: ج ١، ص٣٠٢، عالم المعرفة -الكويت.

(٢) المرجع السابق: ج١، ص ٣٠١.

(٣) شاخت: مستشرق ألماني متخصص في الفقه الإسلامي، ولد في مارس ١٩٠٢م، في راتيبور، درس الفيلولوجيا الكلاسيكية واللاهوت واللغات الشرقية في جامعتي برسلاووليبتسك، توفي في أول أغسطس ١٩٦٩م. ينظر: د/ عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٣٦٦.

باستحالة تطبيق الشريعة في عامة الظروف، حتى أن الأمر لم يكن عمليا أن يوصم كل المسلمين تقريبا بأنهم فسقة وأهل بدعة كونهم يخرقون الأحكام بصورة مستمرة إذ لم يكونوا مستعدين للانسحاب من العالم بصورة كاملة، بل علي العكس حيث يجب أن تؤخذ هذه الأمور علي أنها من تدبير الله وحتى مشيئته.(١)

في الواقع، لقد تم تلفيق العديد من النبوءات حتي أنها نسبت إلي النبي نفسه بأن التعدي علي حدود الله سيزيد يوما بعد يوموأن الخلافة ستتحول إلي ملك عضوض بعيد وفاته(٢).

بذلك تصبح النزعة الدنيوية للحكومة شيء جائز لدى أهل السنة لكونها تحقق ما جاء في نبوءات النبي، لذا قال رسول الله ﷺ«مَنْ أَطَاعَنِي، فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي، فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ أَطَاعَ الْإِمَامَ، فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى الْإِمَامَ، فَقَدْ عَصَانِي»(٣).

نحتاج أن نذكر نقطة مهمة هنا، وهى كما أظن ذات صلة وثيقة بالواقعية السنية، ألا وهى عقيدة الإجماع عند أهل السنة.(٤)

يقول ماكدونالد: (بما أن هذا الإجماع غير مثبت من قبل مجلس أو سنودس(٥)بل يتم

---

(١) ج . شاخت، " الشريعة"، موسوعة الإسلام: المجلد الرابع، ص٣٢٣. نقلا عن دراسة في سيوسيولوجيا الاسلام، ص٧٢.

(٢) أ . ت .آرنولد، " الخلافة " موسوعة الإسلام: المجلد الثاني، ص٨٨٤. نقلا عن دراسة في سيوسيولوجيا الاسلام، ص٧٣.

(٣) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه في كِتَابِ الْجِهَادِ، بَابُ طَاعَةِ الْإِمَامِ (٢/ ٩٥٤) ح ٢٨٥٩ بإسناد صحيح.

(٤) دراسة في سيوسيولوجيا الاسلام، ص٧٣.

(٥) وهذا التجمع بمفهومه الكنسي الاستشراقي غير موجود في الاسلام، بل هناك علماء مسلمون مجتهدون في الشريعة الإسلامية.

التوصل إليه بصورة غريزية وتلقائية، فإن وجوده حول أي نقطة يلتمس فقط من خلال النظر إلي الوراء ورؤية أن مثل هذا التوافق قد حصل فعلا، لذا فإنه مقبول بصورة واعية ويطلق عليه الإجماع .... ويمكن أن يعبر عنه من خلال الكلام أو الأفعال أو من خلال الصمت ويعتبر من أشكال الرضا ..[١]

## سادساً: الإستشراق الروسي:

تحت عنوان (الطائفية في الإسلام Moslem Sectarianism) يتناول الاستشراق الروسي مفهوم أهل السنة ضمن حديثه عن الفرق في الاسلام ورائدعلم الكلام الاسلامي الإمام أبو الحسن الاشعري – رحمه الله – فيقول: " مصطلح عام يستخدم ليشمل الحركات المختلفة في الإسلام التي نشأت تحت تأثير التناقضات الاجتماعية الطبقية، والمذهبان الأساسيان في الإسلام هما المذهب السني والمذهب الشيعي ومنها نشأ فيما بعد عدد من الفرق المختلفة. ومعظمها ضروب من المذهب الشيعي والعوامل الكامنة وراء ظهور الطوائف الإسلامية المختلفة أولا وقبل كل شيء عوامل اجتماعية سياسية أعطت شكلا دينيا، حيث كانت كافة المسائل السياسية والقانونية وغيرها من المسائل في المجتمع الإسلامي في العصور الوسطي تعالج من وجهة نظر دينية. وقد أثرت الظروف الجغرافية والمناخية، والعوامل الثقافية السائدة بين من اعتنقوا الإسلام في طبيعة الفرق الإسلامية التي ظهرت . وفي المذهب الشيعي توجد طوائف الشيعة الإمامية والإسماعلية والزيدية مع تشعبات كثيرة . ورغم أنه لا توجد طوائف في المذهب السني في الإسلام، إلا أن هناك مدارس وتيارات فقهية مختلف ".[٢]

---

(١) ماكدونالد، " الإجماع"، موسوعة الإسلام: المجلد الثاني، ص٤٤٨ نقلا عن دراسة في سيوسيولوجيا الاسلام ص٧٣.

(٢) المعجم العلمي للمعتقدات الدينية، The Scientific Lexicon of Religious Beliefes، =

وقد ورد التعريف بأهل السنة في معرض الحديث عن علم الكلام على النحو التالي:

"علم الكلام Kalam: (كلمة عربية بمعني حديث) اللاهوت المدرسي الإسلامي الذي يعتبر الأشعري (٨٧٣ -٩٣٥م) مؤسسه، وقد اتخذ العلماء المسلمون _ من المتكلمين _ القضاءَ والقدر، والقرآن هل هو قديم أم مخلوق، وصفات الله، وموقفه من العالم ومن الإنسان، وخلق العالم ونهاية العالم ويوم الحساب وما إلي ذلك .. مادةً لأبحاثهم وكتاباتهم (التي تعبر عن مبادئ علم الكلام) . ويفترض في علم الكلام _ حسب رأي المستشرقين الروس _ أن الإنسان يجب أن يخضع بشكل أعمي للسلطات المعترف بها ولا يطرح أسئلة أو يقوم بمقارنات . وأهم نقطة في علم الكلام هي إقامة الدليل علي أول وأهم مبدأ في الإسلام، والمتعلق بأن الله هو الواحد الأحد، ويهتم قسم كبير من علم الكلام بتفسير القرآن "(١).

ويعد أبو الحسن الأشعري (٨٧٣-٩٣٥)، (AbIhasanAshari al- Ashari) مؤسس "علم الكلام" الإسلامي، وقد دافع في البداية عن مذهب (المعتزلة) لكنه غيَّرَ موقفَهُ بعد ذلك لينضم إلي صفوف المسلمين السلفيين، ودافع الأشعري عن الفكرة القائلة بأن "القرآن" قديم منذ الأزل أوحي به من السماء وعن فكرة القضاء والقدر، وفي الوقت ذاته تبني المفهوم المتعلق بحرية اختيار الإنسان ومسئوليته عن أفعاله، وقد دلل علي معتقدات السلفيين الإسلاميين لا من خلال الرجوع إلي القرآن والحديث فحسب بل أيضا عن طريق

---

=

تعريب وتحرير: سعد الفيشاوي، Arabicized & Edited، BY Saad EL FASHAWY، ص٤٠٥، ٤٠٦.

(١) المرجع السابق، ص٣٢٣، ٣٢٤.

الاستدلال المنطقي المستعار من مذهب المعتزلة.[١]

***خلاصة الأفكار العامة في النصوص الاستشراقية:**

- أنَّ مصطلح (الجماعة والفرق) اصطنعه العلماء المسلمون في عصور الإسلام الوسطي.
- أنَّ العلماءَ الذين كتبوا في الفرق الإسلامية ضخموا عدد الفرق بملء إرادتهم.
- أنَّ هناكَ سوء فهم واضح لحديث (الثلاث وسبعين فرقة) من قِبَلِ معظم المستشرقين.
- دائما ما يقلل بعض المستشرقين مثل (دورات) من قيمة أهل السنة والجماعة.
- أنَّ تكوين المذهب السني في المجتمع الإسلاميكان من تطورات القرنين الرابع والخامس الهجري .
- أنَّ علماء الكلام قسمان: سنة، ومعتزلة.
- أنَّ المعروف عن علماء أهل السنة أنهم بشر تابعون للحكومة في الجانب الاخر كانت نظرةالشيعة الى اهل السنة أنهم ظالمون .
- أنَّ علماءَ أهل السنة حاولوا بطريقةٍ أو بأخرى الدفاعَ عن تصرفات الحكومة.
- أنَّ اللاهوت المدرسي الإسلامي (العقائد) يعتبر المستشرقون أن الإمام الأشعري هو مؤسسه.
- أنَّ الإمامَ الأشعري دَلَّلَ علي معتقدات السلفيين الإسلاميين لا من خلال الرجوع إلي القرآن والحديث فحسب، بل أيضا عن طريق الاستدلال المنطقي المستعار من مذهب المعتزلة.

---

(١) المرجع السابق ص٤٢.

## المبحث الثالث
## نقد عام للأفكار الاستشراقية حول أهل السنة

مسارات كثيرة واتجاهات متنوعة يمكن لنا استهدافها من خلال النصوص الاستشراقية السابقة الذكر، ولكن من الأفضل لمثل هذه أن تستهدف الأفكار الاساسية في جملة النصوص الاستشراقية التي سبق عرضها، بحيث يمكن نقدها بشكل مجمل يؤكد على عدة اعتبارات منها:

١ – أن نصوص المستشرقين يستشف منها اصطناع الأمراء والحكام لمصطلح أهل السنة والجماعة خدمة لأهداف سياسية حسب ما يدعي المستشرقون.

٢ – التأكيد على أصالة وجذرية أهل السنة والجماعة بدءا من تاريخ الإسلام المبكر حتى وقتنا الحاضر.

٣ – التباس مفهوم أهل السنة والجماعة لدى بعض المستشرقين واعتقادهم أن هذا المفهوم هو تطور من تطورات القرنين الرابع والخامس الهجري. لهذا كله ونظرًا لدور أهل السنة الكبير الذى لا ينكره إلا جاحد، كان لزاما علينا أن نتوقف أمام رأيهم وتفنيد مقولاتهم والتي أرى أن الرد الاجمالي على هذه الأفكار هو الأنسب والأشمل نظرا لغياب بعض الجوانب التاريخية المتعلقة بأهل السنة عن هؤلاء، كما أن موقف الغالبية العظمي من المستشرقين يتسم في أغلب الأحيان بالسطحية والتجاهل لدور وتاريخ أهل السنة، ولهذا سيكون النقد إن شاء الله من خلال المحورين الآتيين:

**الأول: نقد محددات ومناهج الفكر الاستشراقي في دراسة تاريخ الفرق الإسلامية**

**الثاني: نقد الفكر الاستشراقي حول مفهوم أهل السنة .**

ويشتمل على:

١ – إشكالية مفهوم أهل السنة والجماعة.

٢- تاريخ ظهور مصطلح أهل السنة والجماعة.

٣- أهل السنة في أقوال العلماء المتقدمين.

٤ -أعلام أهل السنة والجماعة.

**الأول: نقد محددات ومناهج الفكر الاستشراقي في دراسة تاريخ الفرق الإسلامية:**

حينما يبحث المستشرقون في الإسلام يبدون اهتمامًا شديدًا تجاه مجال العقيدة الإسلامية، وحينما يتطرقون إلى موضوع الفرق الإسلامية خصوصًا نجد لديهم اهتمامًا مثيرًا بصورة ملحوظة في كثير من الدراسات الاستشراقية إلا أنه من الواضح إمكانية معرفة طبيعة المناهج التي استخدمها المستشرقون في دراسة الفرق الإسلامية بشكل عام رغم تعدد اتجاهاتها.

ولهذا " تتعدد مناهج الفكر الاستشراقي، وتتنوع دراساته واهتماماته بتعدد مدارسه وعلمائه، ومن بين هذه الدراسات والاهتمامات الفكرية للاستشراق (مجال العقيدة والفرق الإسلامية)، حيث يُعَدُّ (مجال العقيدة الإسلامية) من أهم المجالات التي اهتم بها المستشرقون ووجهوا لها النصيب الأكبر من دراساتهم، فقد نشأ الاستشراق في مجال الدراسات الإسلامية أصلًا لدراسة العقيدة الإسلامية، والبحث عن الوسائل والعوامل التي يمكن تطويرها لهدم هذه العقيدة وتخريبها وتشويه أصولها.

ويعتبر الدافع الديني من أهم الدوافع التي وجهت المستشرقين لدراسة العقيدة الإسلامية"[١].

**ومما لاشك فيه أن هناك محددات ومناهج عامة اتسم بها الفكر الاستشراقي في دراسة**

(١) د/ محمد خليفة حسن أحمد، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، كلية الآداب جامعة القاهرة، ص١١، الطبعة الأولي، ١٩٩٧م.

تاريخ الفرق الإسلامية، منها:

## أولًا: التعظيم من شأن الفرق الدينية ودورها في المجتمع الإسلامي:

حقيقة الأمر أنَّ هناكَ ملمحٌ مهمٌ في محددات ومناهج الفكر الاستشراقي في دراسة تاريخ الفرق الإسلامية وهو أنه "لا يخفي على الدارس المسلم للاستشراق هذا التركيز الشديد على الدراسات الخاصة بالفرق الدينية التي ظهرت في العالم الإسلامي قديما وحديثا، وكذلك الاهتمام بدراسة أوضاع الأقليات غير المسلمة داخل المجتمع الإسلامي، ويهدف المستشرقون من وراء هذا الاهتمام إلى تعظيم الفرق الدينية في الحياة الإسلامية، والتهويل من شأن تأثيرها في المجتمع الإسلامي. والقصد من هذا كله النيل من وحدة الإسلام كدين، ومن وحدة المجتمع الإسلامي، ووحدة الحضارة الإسلامية.

فالصورة التي يقدمها المستشرق تؤكد علي عدم وحدة العالم الإسلامي وانقسامه إلي فرق دينية واجتماعية متعددة، وتؤكد أيضا علي وجود عدة عقائد إسلامية، وبالتالي عدة مجتمعات إسلامية تتنوع فيها الحياة وتختلف أشكالها بما يؤدي إلي الاعتقاد الاستشراقي في عدم وجود أمة إسلامية واحدة كما يعتقد المسلمون[١].

## ثانيًا: المبالغة في الدور الديني للفرق الإسلامية:

ليس هناك من شك في أنَّ الأمرَ لم يقفُ عند المستشرقين في تعظيم الفرق الإسلامية الأخرى والتهويل من شأنها فحسب بل تعدى ذلك بكثير، حيثُ يبالغ الاستشراق في الدور الديني لهذه الفرق، حيثُ يعتبر الاستشراق أن هذه الفرق مسؤولة عما يسميه بتطور العقيدة في الإسلام، وتعدد الرؤى العقدية، مما يعتبره الاستشراق من باب إثراء الإسلام فكريًا من خلال تعدد المذاهب والفرق...، بل اتجه الاستشراق حديثًا وبمساعدة التنصير والاستعمار

(١) المرجع السابق، ص٢١.

إلي تكوين واستحداث فرق دينية جديدة في المجتمع الإسلامي بهدف زيادة عوامل الفرقة بين المسلمين، والعمل علي خلخلة التوازن في المجتمع الإسلامي...خاصة البابية[١]، والبهائية[٢]، والقاديانية[٣]، وكذلك تشجيع الدراسات الخاصة ببعض الفرق القديمة مثل

---

(١) **البابية:** ظهرت هذه النحلة في إيران على يد المرزا محمد علي الملقب بالباب المولود في سيراز ١٨١٩ م وقد ادعى أنه المهدي المنتظر، ثم ادعى النبوة وأن الله أوحى إليه بكتاب (البيان) الناسخ للتوراة والإنجيل والفرقان، ثم ادعى أنه المسيح المنتظر، ثم ارتقى إلى ادعاء الألوهية، ولما قتل الباب بفتوى من العلماء سنة ١٨٥٠م تنازع الأمر من بعده يحيى وأخوه حسين الملقب بالبهاء، وأخذ كل منهما يدعي بأن الله أوحى إليه بكتاب يصدق دعواه، وكانت الغلبة للبهاء فظهرت البهائية خلفاً للبابية.حسن أيوب، تبسيط العقائد الإسلامية (ص ٣٠٧) ط دار الندوة الجديدة، بيروت.

(٢) **البهائية**: هم أتباع المرزا حسين علي الذي لقب نفسه بالبهاء المولود في بلدة نور من ضواحي مازندران سنة ١٢٢٣هـ قام في أول أمره بخلافة

الباب ثم تدرج إلى المهدوية ثم النبوة ثم الربوبية والألوهية، وقد عهد بالخلافة من بعده إلى ابنه عباس المسمى عبد البهاء وقد دان البهائيون لكل خليفة بعد البهاء وقدسوه وعبدوه مثل عبادتهم للبهاء. وهلك البهاء سنة ١٣٠٩ هـ (١٨٩٢م) .المرجع السابق (ص: ٣٠٧) .

(٣) **القاديانية**: هم أتباع غلام أحمد المولود في (قاديان) مركز بجان بمديريةكورداسوربا منذسنة ١٢٥٢ وقد ظلوا فرقة واحدة مدةحياته

وأيام خليفته نور الدين. وفي آخر حياة نور الدين ابتدأ الخلاف وكان من أثره انقسامها بعد وفاته إلى يشعبتين:

١ – شعبة قاديان: ورئيسهم محمود بن غلام أحمد.

٢ – شعبة لاهور: وزعيمهم محمد علي الذي ترجم القرآن إلى اللغة الانجليزية.

والشعبة الأولى تدين بنبوة أحمد، والثانية تعتقدأنه مصلح وهذا خلاف ماورد في كتاب مبتدع النحلةمن أنه مهدي ثم نبي مرسل ثم عيسى الموعود

به، وتوفي أحمد بعد حياة حافلة بنبوة تحرم الجهاد وتدعو إلى مساعدة الإنجليز، لأنهم أرباب نعمته =

الشيعة*والمعتزلة•.(١)

والهدف من هذا الحماس العلمي إحياء هذه الفرق القديمة، وخلق مكان جديد لها

=

وأصحاب الفضل عليه في حمايته ونشر دعوته.

المرجع السابق (ص: ٣٠٩) .

*الشيعة: الشيع ثلاثة أصناف، وإنما قيل لهم الشيعة لأنهم شايعوا الإمام علي -كرم الله وجهه- وقدموه على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمنهم غالية الشيع، وإنما سموا الغالية لأنهم غلوا في (علي) وقالوا فيه قولاً عظيمًا، وهم خمس عشرة فرقة منهم البيانية، الحربية، الخطابية، المنصورية، العميرية، وغيرهم، والصنف الثاني من الأصناف الثلاثة التي ذكرنا بأن الشيعة يجمعها ثلاثة أصناف وهم الرافضة، وإنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر، وهم مجمعون على أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه، وأظهر ذلك وأعلنه، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم. ينظر: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ١/ ٣٩٥.

• **المعتزلة**: هم أتباع واصل بن عطاء، وهذه الفرقة اجتمعت على أن الله عز وجل شيء لا كالأشياء، وأنه خالق الأجسام والأعراض، وأنه خلق كل ما خلقه لا من شيء، وعلى أن العباد يفعلون أعمالهم بالقُدَرِ التي خلقها الله سبحانه وتعالى فيهم، وأجمعوا على أنه لا يغفر لمرتكبي الكبائر، وأن الله تعالى غير مرئي يوم القيامة، وقد افترقت فيما بينها إلى عشرين فرقة منهم: الواصلية، والعامرية، والهذيلية، والنظامية، وغيرها. ينظر: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور، الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية، دار الآفاق الجديدة، بيروت - لبنان، ط٢، ١٩٧٧م، ١/ ٩٤ . وينظر: طاهر بن محمد الأسفراييني أبو المظفر، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، عالم الكتب، لبنان، ط١، ١٤٠٣ه- ١٩٨٣م، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ١/ ٦٣.

(١) د/ محمد خليفة حسن أحمد، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية ص٢١: ٢٢.

داخل الفكر الإسلامي، والعمل علي تفتيت الوحدة الدينية والفكرية للمجتمع الإسلامي، وذلك من خلال تمزيقه إلي عدة مجتمعات داخلية تختلف في العقيدة والمذهب والفكر(١).

وقد حقق الغرب حديثًا وبإيعاز من الدراسات الاستشراقية، وتقارير الخبراء العاملين في الجهات الحكومية المسؤولة في الغرب، نجاحا في إثارة الشيعة، وتصدير أفكار (الثورة الإيرانية) إلى خارج إيران في محاولة لنشرها في العالم الإسلامي بشتى الوسائل الممكنة، ومحاولة نشر الأفكار الشيعية في الجمهوريات الإسلامية الجديدة التي استقلت حديثا عن الاتحاد السوفيتي، والقيام بدور بارز في توجيه هذه الجمهوريات الوجهة التي تخدم الأهداف الإيرانية المتعددة، ومن بينها هدف نشر المذهب الشيعي، وتجد الفرق البهائية، والبابية، والبكداشية، تشجيعا كبيرا من الغرب، ويساعد الاستشراق مساعدة كبيرة في دراسة هذه الفرق وتأصيل مفاهيمها ونشر نصوصها، والتعريف بزعمائها وتقديم العون العلمي اللازم لأبنائها للدراسة في جامعات الغرب...والمستشرقون يعدون المنشقين عن الإسلام علي الدوام أصحاب فكر ثوري تحرري عقلي، ودائما يهتمون بكل غريب وشاذ.(٢)

**وإذا بحثنا في المسالة هذه بشكل أعمق وهذا ما لا يسعه البحث، لأننا سنجد أنفسنا أمام كم هائل من الأسباب على جميع المستويات الدينية والسياسية وغيرها، يمكن إرجاع هذا الاهتمام بالغريب والشاذ_من الفرق الإسلامية_ إلى عدة أسباب، من أبرزها في نظر الباحث ما يلي:**

١ – محاولة شق الصف الإسلامي، والعمل علي تفتيت الوحدة الدينية والفكرية للمجتمع الإسلامي، وذلك من خلال تمزيقه إلي عدة مجتمعات داخلية تختلف في العقيدة

(١) آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، ص٢٢.

(٢) د/ محمد خليفة حسن أحمد، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، ص٢٦ وما بعدها.

والمذهب والفكر.

٢- التقليل من الوزن الحقيقي لأهل السنة والجماعة باعتبارها حائط الصد المنيع تجاه كل محاولات الغرب لاستعمار العالم الإسلامي.

٣- دفع هذه الفرق للتمرد وشق الصف للترويج لنزعة استقلالية تطالب بها هذه الفرق.

## ثالثًا: التركيز الاستشراقي على الطوائف والأقليات في المجتمع الإسلامي:

تعد الطوائف والأقليات في المجتمع الإسلامي إحدى ركائزه ومن أهم مظاهره بداية من عصر دولة المدينة المنورة إلى وقتنا الحاضر، وقد أولي الإسلام بهم عناية خاصة ودائمة علي مر التاريخ، والقرآن الكريم والسنة المطهرة تعطينا في هذا الصدد إشارات هادية تضئ لنا الطريق في معاملة الطوائف والأقليات داخل المجتمع الإسلامي.

ورغم ذلك، وبالإضافة إلي الاهتمام الاستشراقي بالفرق الإسلامية وجهَ الاستشراق جانبا كبيرا من جهوده إلي دراسة وضع الطوائف والأقليات في المجتمعات الإسلامية، والهدف من هذه الدراسات يقترب كثيرا من هدف دراسة الفرق المخالفة للإسلام حيث يركز الاستشراق علي إظهار المجتمع الإسلامي بمظهر المجتمع المكون من عدة طوائف وأقليات لها مذاهبها المختلفة ولها عاداتها وتقاليدها المتباينة ولها حياتها الخاصة داخل المجتمع الإسلامي، الأمر الذي يظهر هذا المجتمع في النهاية بأنه يتكون من عدة مجتمعات مختلفة لا تجمعها رابطة وتميل بعض الدراسات الاستشراقية إلي التضخيم من حجم الأقليات والطوائف والتعظيم من دورها في الحياة الإسلامية وفي الحضارة الإسلامية، مما يوحي في النهاية إلي أن هذه الحياة والحضارة الإسلامية ليست من صنع المسلمين ولكنها من نتاج هذه الطوائف والأقليات، وأن النتاج الفكري والحضاري الإسلامي إنما هو من عمل اليهود والنصارى والمجوس والهندوس وغيرهم من أهل الأديان والحضارات الأخرى.

وقد تعاون الاستشراق والاحتلال علي إحداث النزاعات بين أبناء البلاد الإسلامية، وذلك تشجيع النزعات الانفصالية، كما حدث في المغرب العربي أيضا بتقسيم الشعب المغربي إلي عرب وبربر، والتركيز علي فرنسة البربر وتعلميهم اللغة الفرنسية ونشر الحملات التنصيرية في ديارهم. وقد أنشأت الحكومة الفرنسية الأكاديمية البربرية في فرنسا لتشجيع هذه النزعة.

إن تحليل المناهج الاستشراقية في دراسة تاريخ العقيدة و الفرق الاسلامية، يظهر لنا أن غالبيتها لم تتخلص من الغايات الإيديولوجية[١] الثاوية خلف تطبيقاتها ونتائجها في مجال دراستها لروافد التاريخ والفكر الإسلامي، هذا الأمر يعني أن تلك المناهج حتى لو ادعت العلمية والموضوعية في مقاربتها، إلا أنها -من خلال تحليل الكيفية التي مارست من خلالها طرق معالجتها لقضايا التاريخ الإسلامي- بقيت أمينة أكثر لأصولها الغربية التي خرجت منها، ولم تأخذ بعين الاعتبار خصوصية هذا التاريخ وأبعاده وأصالته[٢].

فالمستشرق صاحب المنهج التاريخي يفكر شموليا في الفلسفة الإسلامية لا بوصفها جزءاً من كيان ثقافي عام ألا وهو الثقافة العربية الإسلامية، بل بوصفها امتداداً منحرفًا أو مُشَوَّهًا للفلسفة اليونانية، وبالمثل يفكر بالنحو العربي ومدارسه، يوجهه هاجس ربطها بمدارس النحو اليونانية بالإسكندرية أو برغام، وبيان تأثرها بالمنطق الأرسطي، كما قد لا يتردد في ربط الفقه الإسلامي نوعا من الربط بالقانون الروماني وما خلَّفَهُ في المنطقة العربية

(١) محمد عابد الجابري: التراث والحداثة" دراسة ومناقشات " ط٣، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٦) ص٢٨، ٢٩.

(٢) د/ طالب جاسم العنزي، سجدة الحساني، أبعاد ومحددات الرؤية الاستشراقية في دراسة التراث التاريخ الإسلامي، دراسات استشراقية، العدد١٥، ٢٠١٨م، ص٨٢.

من آثار وأعراض، أما المستشرق المغرم بالتحليل الفيلولوجي[١]، فهو عندما يتجه إلى الثقافة العربية الإسلامية بنظرته التجزيئية، لا يعمل على رد فروعها وعناصرها إلى جذور وأصول تقع داخلها، أو على الأقل مقروءة بتوجيه من همومها الخاصة، بل هو يجتهد كل الاجتهاد في رد تلك الفروع والعناصر إلى أصول يونانية، وذلك عندما تعوزه الحجة إلى أصول هندوأوروبية...، أما المستشرق صاحب المنهج الذاتوي[٢]، فإنه على الرغم من تعاطفه مع بعض الشخصيات الإسلامية كتعاطف ماسينيون مع الحلاج، أو هنري كوربان مع السهروردي، فإنه يبقى مع ذلك موجهًا من داخل إطاره المرجع الأصلي، إطار المركزية الأوربية مشدودًا إليه غير قادر ولا راغب في الخروج عنه أو القطيعة معه.[٣]

إنَّ تأكيدنا على المضامين الأيديولوجية التي حملتها مناهج المستشرقين، الذين تسلحوا بها لدراسة التاريخ الإسلامي وقضاياه كالمنهج التاريخي والفيلولوجي والمنهج المقارن ...

---

(١) علم اللغة المقارن Comparative linguistics أو الفيلولوجي: هو فرع من فروع علم اللغة أو اللسانيات التاريخية التي تركز على مقارنة اللغات لتحديد الصلة التاريخية بينها مثل القرابة الوراثية الأصل المشترك للغة و تهدف علم اللسانيات المقارن أو علم اللغة المقارن إلى بناء العائلات اللغوية و إعادة بناء مجتمع اللغات السابقة و تحديد التغيرات التي أدت إلى ظهور اللغات بالشكل الذي تكون عليه في كل منطقة من أجل الحفاظ على سلامة المصطلحات و إعادة البناء. مجلة المرسال، مقال بعنوان (ماهوالفيلولوجي؟ علم اللغة المقارن)، كتابة: آيات طاهر، بتاريخ ١٤ مايو ٢٠١٥م.

(٢) المنهج الذاتي subjective method: هو منهج يقوم على تفسير الظواهر في ضوء المشاعر والميول الداخلية، وأكثر ما يطبق في علم النفس ويتلخص في تأمل باطني ينصب على ما يجرى في عالم الشعور، ويسمى الاستبطان. المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، مصر، المطابع الأميرية ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م.

(٣) محمد عابد الجابري، التراث والحداثة دراسات ومناقشات، ص٢٨ وما بعدها.

وغيرها، لا يعني إغفال جانب مهم يخص طبيعة تلك المناهج وفلسفتها من حيث نشأتها وتأسيسها عندهم، فكما هو معروف أن دراسة التاريخ من حيث الأصول والقواعد المنهجية، مر عبر تاريخ الفكر الغربي بتحولات كبيرة سواء على صعيد الرؤية أو المنهج، وقد ظهرت في خضم هذه التحولات مدارس واتجاهات عدة حاولت إعادة الاعتبار للتاريخ بوصفه علمًا له مرتكزاته وأسسه سواء من حيث طرق الكتابة أو طبيعة المعرفة التاريخية، وهذا الأمر بدا واضحا في الاتجاه الوضعي أو التاريخاني أو التأويلي في دراسة التاريخ.[١]

إنَّ هذه الاتجاهات على ما بينها من تباين في المنطلقات والاختلاف في أساليب المعالجات المنهجية، قد أعادت الاعتبار لمفهوم المؤرخ وقدرته على الوصول للحقيقة التاريخية، بحيث بالغت في الإعلاء من شأن مسألة" المنهج وإمكانيته في دراسة الوقائع والأحداث وتحديد المسارات واكتشاف القوانين الفاعلة في حركة التاريخ، لاسيما ما يتعلق منها بأزمة التاريخ القديم، فأصبحت إمكانية بناء تاريخ للماضي -من وجهة نظر هذه الاتجاهات- على أسس ومعايير علمية شيئا ممكن التحقق في مجال الدراسات التاريخية.

لقد تبنى بعض المستشرقين أطروحات وأسس تلك المناهج وعدّوها صالحة للعمل والاستخدام في حقل الدراسات الإسلامية، من دون مراعاة لخصوصية هذا التاريخ واختلافه وعدم تماثله مع غيره في البنى والأنساق والسياقات الاجتماعية والسياسية والفكرية التي أسهمت في تشكيله[٢]، بل إن قسمًا منهم قد غالى في مجال تطبيقاته لهذه المناهج في حقل

---

(١) قيس ماضي فرو، المعرفة التاريخية في الغرب مقاربات فلسفية وعلمية أدبية، ص١٧-٨٢ المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط١، ٢٠١٣م.

(٢) عبد الإله بلقزيز، الاستشراق وحدوده المعرفية المنهجية، في نقديات محمد أركون، محمد أركون المفكر والباحث والإنسان مجموعة باحثين، ط١، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١١)، ص٥٩.

دراسة التاريخ الإسلامي، وعدَّ ما توصل إليه من نتائج عبرها غير خاضع للمراجعة أو النقد، هذا الأمر يعني أن تلك المناهج وإن بقيت في قسم منها تحاول الوصول إلى ترسيخ رؤية أيديولوجية معدة مسبقا، تنتمي في منطلقاتها ومبادئها إلى المركزية الغربية، إلا أنها في الوقت نفسه عندما أعيد توظيفها في حقل دراسة التاريخ الإسلامي جاءت معبرة عن الخلفيات الفكرية والفلسفية للمنهج نفسه.

يتضح مما تقدم أنه إذا كانت مناهج المستشرقين بتنوعها وتعددها، قد أضحت هي الممارسة العملية التي من خلالها يستطيع الباحث تقييم جهودهم، ومعرفة طبيعة ما توصلوا إليه خاصة في حقل دراستهم للتاريخ الإسلامي، فإن هذه الممارسة لم تكن يوما بمعزل عن المواقف الأيديولوجية التي تسربت إلى تلك المنهجية، والتي ظهرت في تحليلاتهم ومعالجاتهم إما بشكل صريح أو مضمر(١).

هذا الأمر راجع إلى أن المستشرق ومن ناحية تكوينه العلمي يبقى في النهاية هو ابن البيئة، والحواضن الفكرية والحضارية والسياسية التي أسهمت في تشكيل عقليته، أي إنه يبقى أمينا لتوجهاته الذاتية وخلفياته الدينية أو السياسية، وربما في بعض الأحيان وفيا لقناعاته وهواجسه النفسية، لكن مع إقرارنا بهذه المسائل وانعكاساتها السلبية في اسهامات المستشرقين، تبقى هنالك جهود علمية وأكاديمية رصينة لكثير منهم(٢).

وأهمما يميز هذه الجهود والإسهامات الاستشراقية ذات المنحى الموضوعي، هي أن معالجاتها المنهجية لا تدعي التطابق مع الموضوع المدروس - وهو هنا مجال التاريخ الإسلامي - بقدر ما كان هاجسها استخدام آليات المنهج للوصول إلى إقتراح نظرة جديدة

---

(١) أبعاد ومحددات الرؤية الاستشراقية، د. طالب جاسم العنزي ص٨٤.

(٢) المرجع السابق، ص٨٤ وما بعدها.

ومبتكرة يمكن لنا من خلالها استعادة ودراسة وقائع وأحداث العصور الإسلامية، ليس على مستوى أن ما ننتهي إليه من نتائج وتحليلات هو تفسير مطابق لحقيقة ما جرى فعلا، بل على مستوى توسيع دائرة فهمنا لهذا التاريخ ضمن منظور تعددي نسبي لا يدعي امتلاكه تفسيراً قاطعاً ووحيداً ونهائياً له، ومن خلال هذا المنظور أصبحت تلك الاسهامات أقرب لروح الموضوعية والعلمية التي يجب أن يتحلى بها المستشرق وهو يخوض في أبعاد التراث والتاريخ الإسلامي، فابتعدت بالنتيجة عن الوقوع في نمط الدراسات الاستشراقية السابقة، التي كانت معالجاتها والنتائج التي انتهت إليها، مبنية على أسس أيديولوجية وليست معرفية(١).

**واختصارًا لما مرَّ فإنه يمكن إبراز الملامح المنهجية للدراسات الاستشراقية في مجال دراسة الفرق الإسلامية من خلال عدة جوانب أهمها:**

-تضخيمهم للفرق الدينية المنسوبة للإسلام والمخالفة لمذهب أهل السنة، وتعظيم دورها في المجتمع المسلم.

-المبالغة في دور هذه الفرق، واعتبارها مسؤولة عن تطور العقيدة الإسلامية بحسب مفهوم بعض المستشرقين كما تهدف بعض الدراسات الاستشراقية في مجال الفرق الدينية إلي إحداث تغيير كبير في بنية المجتمع المسلم، وذلك بالعمل علي تفكيك الوحدة الدينية والفكرية للعالم الإسلامي.

-يعمد المستشرقون إلى تصوير الفرق والطوائف الدينية الإسلامية، على أنها جماعات مضطهدة كما يدعون، مما يدلل على أن الدراسات الاستشراقية في مجال العقيدة والفرق

(١) أبعاد ومحددات الرؤية الاستشراقية.

الإسلامية لم تتخلص غالبيتها من الغايات الدينية والأيديولوجية، وهذا محل المبحث القادم ومحور اهتمامه.

## الثاني: نقد الفكر الاستشراقي حول مفهوم أهل السنة

### أولاً: إشكالية مفهوم أهل السنة والجماعة:

شغل مصطلح أهل السنة -وما زال- الكثير من المعنيين والمتخصصين بالدراسات الإسلامية، الأمر الذي يدعونا إلى أن نستعرض هذا المصطلح ضمن إطار خاص في الدراسات الاستشراقية.

ولكن ذلك يستدعي مدخلًا تاريخيًا مختصرًا، يوضح البدايات الحقيقية لظهور هذا المصطلح.

في عصر النبي ﷺ كانت رحى الإسلام إثبات العقائد الإيمانية وبيانها تدور على الآيات القرآنية، ولم يكن ثمة مشكلة في هذا المجال، ولكن بعد وفاة النبي ﷺ وانتقاله إلى الرفيق الأعلى بدأ المسلمون يشعرون بالحاجة إلى نظم الاعتقادات الدينية؛ وذلك بالنظر إلى الشبهات التي كانت تثار في أذهان المسلمين حول هذه المفردة العقدية أو تلك.

الأمر الذي أدى إلى ارتكاب ما ينكره العقل والدين، مما يسيء إلى الحقيقة السمحاء، وفي عصر الأمويين تفرقت مذاهب المسلمين في الخلافة وصار كل حزب يؤيد رأيه ويشايعه آخرون، واتسع الخلاف، فافترق الناس إلى شيعة وخوارج، ومعتدلين...ولما ظهرت تلك الفرق وانتشر الخلاف في شتى العقائد، رأى فريق من المعتدلين المخلصين في إيمانهم وعملهم، أنه يجب عليه الاشتغال ببيان أصول العقائد بالطريقة التي أرشد إليها القرآن، من النظر في الكونيات، نظرًا منطبقًا على صحيح العقل فتصدى هؤلاء الأعلام لبيان العقائد على

ذلك النحو[١].

"وقد طرحت تبريرات عدة لظهور القضايا والمسائل الكلامية، منها: وجود بعض الآيات المتشابهة في القرآن، فيما يرتبط بالصفات الخبرية لله تعالى، والتي تفيد الجبر تارة، وتفيد الاختيار تارة أخرى، وقد اعتمدت توجهات مختلفة في معالجة هذه الآيات وكيفية التعامل معها، ثم إن الجو السياسي الذي ساد العالم الإسلامي في تلك الفترة.. وتعرف المسلمين إلى ثقافات وافدة من خارج البيئة الإسلامية كلها أسباب أفضت إلى ظهور قضايا كلامية عدة.... ويمكن تصنيف الاتجاهات المعتمدة إلى اتجاهين؛ هما الاتجاه العقلي والاتجاه النصي، ويتشعب كل واحد من هذين الاتجاهين إلى شعب عدة، وما زال هذان الاتجاهان يمارسان دورهما في التنظير الفكري في علم الكلام حتى يومنا هذا... وقد أدى الجدل بين التيارات العقلية والتيارات النصية في التقليد السني إلى ظهور مدرستين كلاميتين هما المدرسة الأشعرية[٢]، والمدرسة الماتريدية[٣]"[١].

---

(١) الشيخ محمود أبو دقيقة، القول السديد في علم التوحيد، تحقيق وتعليق: عوض الله جاد حجازي، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع، ١/ ١٥، ١٦.

(٢) المدرسة الأشعرية: هم أتباع أبي الحسن الأشعري، ومن أشهر معتقداتهم أن العقل لا يستطيع إدراك وجود الله، وإنما تحصل المعرفة عندهم بالعقل وبالسمع، فالواجبات كلها واجبة بالنص، ومن أشهر رجالها: الباقلاني، الإسفراييني، الغزالي، والجويني. ينظر: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق د/ محمود محمد الطناحي- د/ عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، ١٤١٣هـ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع.، ٣/ ٣٤٧: ٣٤٨. وينظر أيضًا: الشهرستاني أبى الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر، الملل والنحل، ١/ ٩٤: ٩٥.

(٣) الماتريدية: هم أصحاب الإمام أبو منصور الماتريدي، وتعد الماتريدية شقيقة الأشعرية، وذلك لما بينهما من الائتلاف والاتفاق؛ حتى لكأنهما فرقةٌ واحدةٌ، ويصعب التفريق بينهما. ولذلك يصرح كل من الأشاعرة والماتريدية بأن كلاً من أبى الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي هما إماما أهل =

يقول الإمام أبو الحسن الأشعري (رحمه الله): "وأول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين بعد نبيهم ﷺ، اختلافهم في الإمامة، وذلك أن رسول الله ﷺ لما قبضه الله ﷻ، ونقله إلى جنته ودار كرامته، اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة بمدينة الرسول ﷺ، وأرادوا عقد الإمامة لسعد بن عبادة رضي الله عنه، وبلغ ذلك أبا بكر وعمر (رضوان الله عليهما)، فقصدا نحو مجتمع الأنصار في رجال من المهاجرين، فأعلمهم أبو بكر أن الإمامة لا تكون إلا في قريش، واحتج عليهم بقول النبي ﷺ، الإمامة في قريش، فأذعنوا لذلك منقادين، ورجعوا إلى الحق طائعين"(٢).

ونتيجة لتطور وانتشار حركة الترجمة فقد انعكس ذلك على علم الكلام، مما دفع المسلمين إلى ضرورة مسايرة الحضارات والأفكار الجديدة.

ولذلك وجدنا: "أن أولى مهمات حركة الاعتزال هي الدفاع عن الدين الإسلامي، بإزاء الأفكار التي نتجت أثناء الفتوحات الإسلامية، وقد كانت هذه الحركة تعتمد في دفاعها على

---

=

السنة على حد تعبيرهم، لعل هذا التوافق يرجع إلى سببٍ رئيسيٍّ، وهو: توافق أفكار الفرقتين، وقلة المسائل الخلافية بينهما وخاصة مع الأشعرية المتأخرة. ينظر: سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، شرح المقاصد في علم الكلام، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، دار المعارف النعمانية - باكستان، ٢/ ٢٧١. وينظر أيضًا: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمازالذهبي، العرش، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، ط٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، ١/ ٦٨.

(١) السيد محمد مهدي أفضلي، التحول الفلسفي لعلم الكلام خيار خاطئ أم ضرورة لا مفر منها؟، ترجمة: الشيخ محمد حسن زراقط. مجلة المنهاج، عدد ٢٠١٥م، ص٢٤٩ .

(٢) أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٣٦٩ه- ١٩٥٠م، ١/ ٣٩: ٤١.

المنطق والفلسفة، اللذين كانا منتشرين في الأوساط الثقافية في الحضارات الأخرى."[١].

ومع ذلك فلم يقتصر تأثر علم الكلام بالمنهج الفلسفي والمنطق على المعتزلة وحدهم؛ (بل طرأ مثل هذا الأمر على علم الكلام الأشعري أيضًا، وذلك أن باب مواجهة النصية المفرطة والعقلانية المتطرفة كان مفتوحًا عندهم، الأمر الذى أفضى بهم إلى شكل من أشكال فلسفة علم الكلام) .[٢].

ولهذا نطرح التساؤل الهام من هم أهل السنة؟ وللإجابة علي ذلك يمكن القول إن: (التسنن مفهوم واسع يشمل تجارب في الحكم عديدة ومرجعيات دينية وعلمية كثيرة وشعوبًا متنوعة إثنيًا وثقافيًا ويعبر عنه تراث ديني وثقافي غزير، يعتبر أهل السنة حكم الخلفاء الراشدين الأربعة حكمًا نموذجيًا ويقرون بشرعية الدولتين الأموية والعباسية وإن عدّوهما من حيث القيمة الدينية دون حكم الراشدين، ويُولُون الفقه المستنبط من أدلته الشرعية بالاجتهاد مكانة محورية في تصورهم للدين ويعترفون بشرعية عدة مذاهب فقهية وعقدية، أما الفقهية فقد تلاشى بعضها واستمت منها إلى اليوم أربعة مذاهب كبرى هي الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية، وقد فرضت الاتجاهات الفقهية السنية نفسها على معظم شعوب العالمين العربي والإسلامي بفضل إنشاء علماء السنة مجامع حديث ومؤلفات أصول وتفسير وأخبار وتاريخ مبكرة نسبيًا وعلى درجة عالية من الانسجام.

وأما العقدية فيوجد تياران عامان في صلب التسنن، أحدهما موغل في التقليدية يكتفى أصحابه بسلطة النقل في المجال الديني ولا يعترفون بسواها، ويتكونون من محدثين وفقهاء

---

(١) د/ عباس محمد حسن سليمان، الصلة بين علم الكلام والفلسفة في الفكر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨م، ص٣٢: ٣٣.

(٢) السيد محمد مهدي أفضلي، التحول الفلسفي لعلم الكلام خيار خاطئ أم ضرورة لا مفر منها؟، ترجمة/ الشيخ محمد حسن زراقط. مجلة المنهاج، عدد ٢٠١٥م، ص٢٤٥ وما بعدها باختصار.

ومفسرين، والآخر يتعاطى أصحابه إلى جانب علوم النقل، العلوم العقلية وفى مقدمتها علم الكلام، وهم متكلمو أهل السنة)[1].

أهل السنة والجماعة مصطلح ظهر للدلالة على من كان على منهج السلف الصالح من التمسك بالقرآن والسنن والآثار المروية عن رسول الله صلي الله عليه وسلم، وعن أصحابه رضوان الله تعالى عليهم، ليتميز عن مذاهب المبتدعة وأهل الأهواء.

وإذا أطلق هذا المصطلح في كتب العلماء فالمقصود به الأشاعرة والماتريدية وأصحاب الحديث؛ لأنهم هم الذين على ما كان عليه رسول الله صلي الله عليه وسلم، لم يبدلوا ولم يغيروا كما فعل غيرهم من أهل الزيغ والابتداع.

ولقد وصف رسول الله ﷺ الفرقة الناجية بأنهم السواد الأعظم من الأمة، وهذا الوصف منطبق على الأشاعرة والماتريدية وأصحاب الحديث، إذ هم غالب أمة الإسلام، والمنفي عنهم الاجتماع على الضلالة فعنْ أَبِي بَصْرَةَ الْغِفَارِيِّ صَاحِبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «سَأَلْتُ رَبِّي ﷻ أَرْبَعًا فَأَعْطَانِي ثَلَاثًا وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً: سَأَلْتُ اللهَ ﷻ أَنْ لَا يَجْمَعَ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُ اللهَ ﷻ أَنْ لَا يُظْهِرَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَعْطَانِيهَا وَسَأَلْتُ اللهَ ﷻ أَنْ لَا يُهْلِكَهُمْ بِالسِّنِينَ كَمَا أَهْلَكَ الْأُمَمَ قَبْلَهُمْ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُ اللهَ ﷻ أَنْ لَا يَلْبِسَهُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ فَمَنَعَنِيهَا»[2].

ويشترك أصحاب الاتجاه الأول التقليدي في جملة من الخصائص، وهي:

- الخضوع المطلق لسلطة النص والخبر، والأخذ بمبدأ المعلوم من الدين بالضرورة، وتكفير من يخل به إخلالاً ظاهراً، وقد أملى هذا المبدأ على اصحابه تمثل الدين تمثلاً فقهياً

(١) محمد بو هلال، إسلام المتكلمين، ص١٩٢ – ١٩٣.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٥/ ٢٠٠) ح٢٧٢٢٤ بإسناد صحيح لغيره بمجموع طرقه.

والنظر إلى تجارب الأنبياء والأمم بمنظار فقهي تشريعي، واعتبار الشريعة جوهر الدين وكل ما سواها من أمور الدين تابعاً مكملاً لها.

- تولي جميع الصحابة والإقرار بعدالتهم العامة مع الاعتراف بتفاضلهم في الدرجة الدينية بحسب ما كرسته الأحاديث والأخبار المروية في فضائلهم، كخبر العشرة المبشرين بالجنة.

- التمسك بالجماعة واعتبارها حقاً وصواباً واعتبار الفُرْقَة زيغاً وعذاباً، ورفض الخروج على السلطان وإن ظلم، مع الاحتفاظ بحق مخالفته في الشأن الديني إن أخطأ، وهذا يجعل أهل السنة من الوجهتين الثقافية والسياسية محافظين بامتياز.

- إن هذه الخصائص التي طبعت التسنن الأول تفسر تأخر ظهور الكلام السني والصعوبات الجمة التي واجهها رواده حين أخذوا على عاتقهم أن يؤسسوا نسقاً كلامياً يسند مذهبهم، احتاجت هذه المهمة إلى خطوتين:

الأولى: خطوة تحسس وتجريب وجمع بين آليتي النقل والعقل، وقد مثَّلتْ في تاريخ الكلام السني مرحلة الجدل الإقناعي المبني لا على قانون كلامي، ويمثلها ثالوث متنوع الاهتمامات العلمية يتكون من الفقيه أبي العباس القلانسي (ت٢٣٥)، والمحدث عبد الله بن كُلاَّب القطان (ت٢٤١)، والصوفي الحارث المحاسبي (ت٢٤٣).

والثانية: خطوة بناء النسق السني على قاعدة كلامية، وقد أنجزها ثلاثة عاشوا في عصر واحد، ولكن في نواح مختلفة من العالم، وهم الإمامُ أبو جعفر الطحاوي (ت٣٢١ هـ)، والإمامُ أبو الحسن الأشعري (ت٣٢٤ هـ)، و الإمامُ أبو منصور الماتريدي (ت٣٣٣ هـ)[1].

(١) محمد بو هلال، إسلام المتكلمين، ص١٩٤ – ١٩٦ باختصار وتصرف.

## ثانيًا: تاريخ ظهور مصطلح أهل السنة والجماعة:

على صعيد التاريخ الفعلي لوجود أهل السنة والجماعة، فيمكن القول أن وجود أهل السنة والجماعة قد وجد مع وجود الإسلام ذاته، أما عن ظهور الاسم كمصطلح، يُعْرَفُ به طائفة دون أخرى، وكعلم على جماعة بعينها، فالواقع أن هذا المصطلح قد ظهر لأول مرة في رسالة بعث بها الخليفة العباسي المأمون، في ربيع الأول سنة ٢١٨ هـ، إلى عامله على بغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الخزاعي، وكتب المأمون إليه بعد ذلك في الأمر نفسه ثلاثة كتب أخرى في العام، قال المأمون في كتابه الأول، بعد ذكر الذين يأبون القول بخلق القرآن بأوصاف سوء: "ثم هم الذين جادلوا بالباطل فدعوا إلى قولهم ونسبوا أنفسهم إلى السنة.. ثم أظهروا مع ذلك أنهم أهل الحق والدين والجماعة.. فرأى أمير المؤمنين أن أولئك شر الأمة، ورؤوس الضلالة.. وأوعية الجهالة، وأعلام الكذب، ولسان إبليس الناطق في أوليائه.. فهم أحق من يتهم في صدقه، وتطرح شهادته، ولا يوثق بقوله ولا عمله" وبعد الكتاب الرابع من المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم، بعث إسحاق بأحمد بن حنبل ومحمد ابن نوح، ثم بستة عشر آخرين ممن أبوا الإقرار بخلق القرآن إلى المأمون مقبوضا عليهم مقيدين بالحديد، فلما بلغوا الرقة أتاهم نبأ موت المأمون فيسنة ٢١٨ هـ فكان بين كتابه إلى واليه وبين موته نحو أربعة أشهر)[١].

فالحاصلُ أنَّ كتابَ المأمونِ إلى إسحاق بن إبراهيم هو أول وثيقة تاريخية يظهر فيها ذكر تعبير "أهل السنة والجماعة"، ولكن لبعض الباحثين قول إن ظهور هذا الاسم كان في سنة ١٨٠ هـ، وحجته في ذلك أنه عثر على مخطوطة في جامعة صنعاء فيها هذا المصطلح، وهذا

(١) د. محمد سليم العوا، المدارس الفكرية الإسلامية، ص٢٩٣ – ٢٩٤، ط١، ٢٠١٦م، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت.

فرق ليس بالكبير إذ الفرق بين التاريخين ثمانية وثلاثون عاما، فليس فرقا شاسعا، يؤثر على ما نقلناه من رسائل المأمون.

هذا وقد استمر لقب أهل السنة والجماعة يطلق على عمومه وشموله إلى أن (ظهرت المدارس العقدية عند أهل السنة، وتمايز أصحابها، وأطلقت كل طائفة على نفسها هذا اللقب ولكنها لم تنفه عن غيرها، فكأن قائلهم يقول: كلنا أهل سنة وجماعة، لكن ذلك لا يمنع أن يقع بيننا بعض الاختلاف في بعض المسائل مع بقائنا داخل دائرة أهل السنة والجماعة، فانتسب قوم منهم إلى أصحاب الحديث، وسموا بالأثرية، وإمامهم هو الإمام أحمد بن حنبل ﷺ، وقد نسبت هذه المدرسة إليه مع أن هناك أئمة قد سبقوه إلى منهجها، بسبب بروز موقفه في فتنة خلق القرآن، وانتسب قوم إلى أبي الحسن الأشعري، فهو إمامهم وسموا بالأشعرية وكان غالبيتهم من الشافعية، وانتسب قوم منهم إلى الإمام أبى منصور الماتريدي، فهو إمامهم وسموا بالماتريدية، وكان غالبيتهم من الحنفية، ومنهم الذين انتسبوا إلى الإمام داود بن على الظاهري، وسموا بالظاهرية، لكن مذهبه كاد أن ينقرض، فأحياه أبو محمد بن حزم الظاهري في القرن السادس)[1].

**إذًا فمصطلح أهل السنة يمكن تحديد ملامح ظهوره بما يلي:**

١ - أنَّ هناكَ أسبابٌ عدة أدت إلى ظهور قضايا ومسائل كلامية لم تكن مطروحة من قبل.

٢ - أنَّ الجدلَ في القضايا الكلامية بين التيارات العقلية والتيارات النصية أدى إلى ظهور أهل السنة.

٣ - أنَّ أولَ من انتهض من أهل السنة بالأدلة العقلية على العقائد الإيمانية دفعا لبدع

(١) ينظر: المدارس الفكرية الإسلامية، ص ٣٠١ - ٣٠٣ بتصرف يسير.

المعتزلة هو الإمام أبو الحسن الأشعري (رحمه الله) .

٤ - أنَّ (أهل السنة والجماعة) مصطلحٌ ظهر للدلالة علي من كان علي منهج السلف الصالح من التمسك بالقرآن الكريم والآثار المروية عن رسول الله -صلي الله عليه وسلم- وعن أصحابه -رضوان الله تعالي عليهم أجمعين- ليتميز عن مذاهب المبتدعة وأهل الأهواء.

٥ - أنهُ إذا أُطْلِقَ مصطلح (أهل السنة والجماعة) في كتب العلماء فالمقصود به (الأشاعرة، والماتريدية وأصحاب الحديث) .

٦ - أنَّ أهلَ السُّنَّةِ يشتركون في جملةٍ من الخصائص العامة والقواعد الثابتة مع اختلاف بسيط في بعض القضايا الفرعية.

٧ - أنَّ ظهور مصطلح (أهل السنة والجماعة) كمصطلحٍ يُعْرَفُ به طائفة دون أخري، وكَعَلَمٍ على جماعةٍ محددة كان في رسالة بعث بها الخليفة المأمون إلى عامله علي بغداد عن ٢١٨هـ.

## ثالثاً: أهل السنة في أقوال العلماء المتقدمين:

وسائل الحصول علي أصل المسائل التاريخية تستلزم في كثيرمن الأحيان الرجوع إلي أقوال ومقولات العلماء الأوائل المتقدمين وهذه تعتبر طريقة من طرق الاستقراء التي تعتمد علي المراجعات والأقوال التاريخية للعلماء.

ولهذا فمن المهم أن نعرض لأقوال العلماء المتقدمين حول مفهوم أهل السنة وتعريفهم لهم.

يأتي في مقدمة هؤلاء العلماء الإمام تاج الدين السبكي (رحمه الله تعالى) حيث قال: (اعلم أن أهل السنة والجماعة كلهم قد اتفقوا على معتقد واحد فيما يجب ويجوز ويستحيل، وإن اختلفوا في الطرق والمبادئ الموصلة لذلك، أو في لِميّة ما هنالك، وبالجملة

فهم بالاستقراء ثلاث طوائف:

الأولى: أهل الحديث ومعتمد مبادئهم الأدلة السمعية، أعني الكتاب والسنة والإجماع.

الثانية: أهل النظر العقلي والصناعة الفكرية، وهم الأشعرية والحنفية، وشيخ الأشعرية أبو الحسن الأشعري، وشيخ الحنفية أبو منصور الماتريدي.

الثالثة: أهل الوجدان والكشف، وهم الصوفية، ومبادئهم مبادئ أهل النظر والحديث في البداية، والكشف والإلهام في النهاية)[١].

وإلى مثل هذا يذهب حجة المتكلمين الإمام أبو المظفر الإسفراييني (رحمه الله)[٢]، بعد أن شرح عقيدة أهل السنة فيقول: (وأن تعلم أنّ كل من تدين بهذا الدين الذي وصفناه من اعتقاد الفرقة الناجية فهو على الحق وعلى الصراط المستقيم فمن بدّعه فهو مبتدع ومن ضلله فهو ضال ومن كفره فهو كافر)[٣].

وفي هذا السياق يقول: الإمام عضد الدين الإيجي[٤] – رحمه الله تعالى – في بيان الفرقة

---

(١) أبو الفيض، الملقب بالمرتضى الزبيدي، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١٤١٤ه- ١٩٩٤م، ٢/ ٦.

(٢) أبو المظفر الإسفراييني: شهفور بالشين المعجمة بن طاهر بن محمد أبو المظفر الإسفراييني، الإمام الأصولي المفسر له تفسير كبير وصنف في الأصول وكان صهر الأستاذ أبي منصور البغدادي توفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة. ينظر: تقي الدين ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب – بيروت، ط١، ١٤٠٧ هـ، ١/ ٢٤٤/ ٢٤٥.

(٣) أبو المظفر الإسفراييني التبصير في الدين تحقيق كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، لبنان- بيروت، ط١، ١٤٠٣ه- ١٩٨٣م ص ١١١

(٤) الإيجي: عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار قاضي قضاة الشرق وشيخ العلماء بتلك البلاد العلامة عضد الدين الإيجي بكسر الهمزة وإسكان المثناة من تحت ثم جيم مكسورة الشيرازي شارح مختصر ابن الحاجب الشرح المشهور وغير ذلك من المؤلفات المشهورة في العلوم الكلامية والعقلية ذكره =

الناجية، بعد أن عدد

فرق الهالكين: (وأما الفرقة الناجية المستثناة الذين قال النبي ﷺ فيهم "هم الذين على ما أنا عليه وأصحابي" فهم الأشاعرة والسلف من المحدثين وأهل السنة والجماعة، ومذهبهم خالٍ من بدع هؤلاء)(١).

واتساقًا مع ما سبق يرى العلامة السفاريني الحنبلي (رحمه الله) أن: (أهل السنة والجماعة ثلاث فرق الأثرية، وإمامهم أحمد بن حنبل رضي الله عنه. والأشعرية، وإمامهم أبو الحسن الأشعري رحمه الله. والماتريدية، وإمامهم أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى)(٢) وزاد الإمام المرتضى الزبيدي (رحمه الله): (الصوفية)(٣).

وأيضًا قال الإمام الجلال الدواني رحمه الله تعالى: (الفرقة الناجية، وهم الأشاعرة أي التابعون في الأصول للشيخ أبي الحسن... فإن قلت: كيف حكم بأن الفرقة الناجية هم الأشاعرة؟ وكل فرقة تزعم أنها ناجية؟ قلت سياق الحديث مشعر بأنهم –يعني الفرقة الناجية– المعتقدون بما روي عن النبي، وأصحابه، وذلك إنما ينطبق على الأشاعرة، فإنهم

---

=

الإسنوي في طبقاته وقال كان إماما في علوم متعددة محققا مدققا ذا تصانيف مشهورة منها شرح المختصر لابن الحاجب والمواقف والجواهر وغيرها في علم الكلام والفوائد الغياثية في المعاني والبيان وكان صاحب ثروة وجود وإكرام للوافدين عليه. ينظر: ابن قاضي شهبه، طبقات الشافعية، ٣/ ٢٧.

(١) عضد الدين الإيجي، المواقف، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، لبنان- بيروت، ط١، ١٤١٧ه- ١٩٩٧، ص ٤٣٠

(٢) شمس الدين السفاريني الحنبلي، لوامع الأنوارالبهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، ط٢، ١٤٠٢ه- ١٩٨٢م، ١ / ٧٣.

(٣) أبو الفيض، الملقب بالمرتضى الزبيدي، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، ٢ / ٦.

متمسكون في عقائدهم بالأحاديث الصحيحة المنقولة عنه ، وعن أصحابه، ولا يتجاوزون عن ظواهرها إلا لضرورة، ولا يسترسلون مع عقولهم كالمعتزلة)[١].

إلى جانب ما سبق فيجب التنويه على أن الاقتصار على الأشاعرة في نصوص الأئمة إنما ذلك لكونهم أغلب أهل السنة، فلا يفهم منه إخراج غيرهم من طوائف أهل السنة من الفرقة الناجية، فمن لم يكن منهم متبعاً للإمام الأشعري فهو موافق له.

فقد ظهر بعد ظهور الفرق الإسلامية، وكثرة الخلافات والمجادلات حول قضايا العقيدة، واختلط الحق بالباطل. في مثل هذه الظروف الحرجة غار الإمام الأشعري على ما حل بالمسلمين من ضروب الاختلاف، فقام لنصرة السنة وقمع البدعة، وحاول توحيد كلمة المسلمين، وعلى نهجه سار أئمة كرام: كالإمام الباقلاني والإمام الجويني والإمام الغزالي، والإمام الرازي وغيرهم، وقد عرف الشيخ وأتباعه باسم (الأشعرية) .

وفي بلاد ما وراء النهر (أوزبكستان وكازاخستان وطاجكيستان وما جاورها حالياً) قام إمام آخر في نصرة الحق وقمع الباطل، وهو الإمام أبو منصور الماتريدي الذي شايعه علي مذهبه كثيرون: كالإمام أبي المعين النسفي والإمام أبي اليسر البزودي، والكمال بن الهمام وابن أبي شريف وغيرهم، وقد عرف هؤلاء باسم (الماتريدية) . ومن الأشعرية والماتريدية، وأئمة الحديث، وفقهاء المذاهب الأربعة ينتظم عقد أهل السنة والجماعة.[٢]

وتدليلًا على ذلك يقول الإمام ابن عجيبة[٣] رحمه الله تعالى: (أما أهل السنة فهم

---

(١) جلال الدين الداوني، شرح العقائد العضدية، ١/ ٣٤، دار إحياء التراث العربي، بدون

(٢) راجع: اتحاف الساد ة المتقين للزبيدي ٢/ ٧ ط مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ١٩٩٤.

(٣) أبو العباس أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني الفاسي، العلامة المحقق الفهامة البار العالم الصوفي الجامع بين الشريعة و الحقيقة، وفاته رحمه الله تعالي سنة ١٢٢٤هـ. (شجرة النورالزكية ص٤٠٠، وانظر ترجمته في فهرس الفهارس ٢/ ٨٥٤) .

الأشاعرة ومن تبعهم في اعتقادهم الصحيح، كما هو مقرر في كتب أهل السنة)[١].

وعندما سئل الامام ابن حجر الهيتمي عن الإمام أبي الحسن الأشعري والباقلاني وابن فورك وإمام الحرمين والباجي (رحمهم الله) وغيرهم ممن أخذ بمذهب الأشعري، فأجاب: (هم أئمة الدين وفحول علماء المسلمين، فيجب الاقتداء بهم لقيامهم بنصرة الشريعة وإيضاح المشكلات وردّ شبه أهل الزيغ وبيان ما يجب من الاعتقادات والديانات، لعلمهم بالله وما يجب له وما يستحيل عليه وما يجوز في حقه... والواجب الاعتراف بفضل أولئك الأئمة المذكورين في السؤال وسابقتهم وأنهم من جملة المرادين بقول رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: يحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ"[٢]." فلا يعتقد ضلالتهم إلا أحمق جاهل أو مبتدع زائغ عن الحق، ولا يسبهم إلا فاسق، فينبغي تبصير الجاهل وتأديب الفاسق واستتابة المبتدع)[٣].

وقال الإمام عبد القاهر البغدادي رحمه الله: ) فأما الفرقة الثالثة والسبعون فهي أهل السنة والجماعة من فريقي الرأي والحديث دون من يشتري لهو الحديث، وفقهاء هذين الفريقين وقراؤهم ومحدثوهم ومتكلمو أهل الحديث منهم، كلهم متفقون على مقالة واحدة...وليس بينهم فيما اختلفوا فيه منها تضليل ولا تفسيق وهم الفرقة الناجية.. فمن قال بهذه الجهة التي ذكرناها ولم يخلط إيمانه بشيء من بدع.. سائر أهل الأهواء فهو من جملة الفرقة الناجية – إن ختم الله له بها – ودخل في هذه الجملة جمهور الأمة وسوادها الأعظم من

---

(١) ابن عجيبة الحسني، تفسير الفاتحة الكبير، المسمى بـ" البحر المديد"، تحقيق: بسام محمد بارود، دار طوق النجاة، ص٦٠٧.

(٢) الطبراني، مسند الشاميين، ، ج١، ص٣٤٤، حديث (٥٩٩) .

(٣) هو الإمام أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس، الفتاوى الحديثية، دار الفكر، بدون، ص ٢٠٥.

أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة والأوزاعي والثوري وأهل الظاهر)[١].

وقال أيضاً بعد أن عدَّدَ أئمة أهل السنة والجماعة في علم الكلام من الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى أن قال: (ثم بعدهم شيخ النظر وإمام الآفاق في الجدل والتحقيق أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري الذي صار شجاً في حلوق القدرية... وكل من لم يتم عزل من أهل الرأي على مذهبه)[٢].

وقال الإمام أبو عمرو الداني رحمه الله[٣]: (اعلموا أيدكم الله بتوفيقه وأمدكم بعونه وتسديده، أن قول أهل السنة والجماعة من المسلمين المتقدمين والمتأخرين من أصحاب الحديث والفقهاء والمتكلمين)[٤].

وختام هذه الآراء يقول: الإمام أبو إسحاق الشيرازي رحمه الله: (وأبو الحسن الأشعري إمام أهل السنة، وعامة أصحاب الشافعي على مذهبه، ومذهبه مذهب أهل الحق)[٥]. وناهيك بأبي إسحاق الشيرازي علماً وفقهاً وديانة وورعاً وتقدماً في الدين. فيما

---

(١) أبو منصور الإسفراييني، الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية، دار الأفاق الجديدة- بيروت، ط٢، ١٩٧٧م، ص ١٩

(٢) جمال الدين أحمد محمد بن سعيد الغزنوي، أصول الدين، بدون، ص٣٠٩

(٣) انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٧٧، ، ابن بشكوال، الصلة، تحقيق: شريف أبو العلا العدوي، ٢/ ٤٠٥ مكتبة الثقافة الدينية .

(٤) أبو عمرو الداني، الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات، تحقيق: دغش بن شبيب العجمي، دار الإمام أحمد، الكويت، ط١، ١٤٢١ه- ٢٠٠٠م، ص١١٧.

(٥) شمس الدين السفاريني الحنبلي، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، ١ / ٧٣

سبق تعريف أهل السنة، كما ورد على ألسنة العلماء المتقدمين وفي كتاباتهم وتظهر هذه التعريفات بشكل إجمالي أن:

أقوال علماء الإسلام متفقة على أن الأشاعرة ومن وافقهم في الاعتقاد من طوائف أهل الحق هم الفرقة الناجية، وهم المعنيون بقوله " ما أنا عليه وأصحابي " وهم الوسط بين الفرق المبتدعة.

**إذاً فمحصلة أقوال العلماء السابقين – رحمهم الله –توضح جملة من الحقائق هي:**

١ – التأكيد على أن كافة الأسس العقدية واحدة ضمن من شملهم التعريف.

٢ – أنَّ أهل السُّنَّة يجمعهم ثلاث طوائف وهم (أهل الحديث، وأهل العقل، وأهل الوجد) .

٣ – أهل السُّنَّة في منظور العلماء المتقدمين هي الفرقة الناجية.

٤ – أهل السُّنَّة هم المذهب الوسط ومذهبهم خال من البدع التي استحدثتها الفرق الأخرى.

٥ – أنَّ الإمام أبو الحسن الأشعري (رحمه الله) هو إمام أهل السنة والجماعة الأشهر بحسب أقوال العلماء السابقين.

٦ – أنَّ ما يلاحظ على هذه التعاريف، هو تركيزها على محتوى الارتباط والاتفاق بين الأسس العقدية الواحدة لدي أصحاب التعاريف السابقة واعتمادهم عليها، كونها تشكل معياراً واحداً يرتبط بشكل وثيق فيما سبق من تعاريف رغم اختلاف العبارة وتنوع التعاريف بمعنى أن: هذه التعاريف السابقة بجملتها وتعريفاتها هو ما اعتمده العلماء الأقدمون في تعريف " أهل السنة والجماعة"

**بناءً على هذه الرؤية الموحدة والتعاريف السابقة، نستطيع أن نعرف أهل السنة والجماعة، على غرار ما قام به علماؤنا – رحمهم الله – بما يلى:**

**" أهل السنة والجماعة هم: أهل الحديث الأثرية وإمامهم الإمام أحمد بن حنبل، وأهل النظر العقلي (الأشعرية والحنفية وشيخ الأشعرية الإمام الأشعري، وشيخ الحنفية الإمام الماتريدي)، وأهل الوجد والكشف، وهم الصوفية ومن تبعهم في اعتقادهم الصحيح كما هو مقرر في كتب السنة وكتب علمائنا السابقين -رحمهم الله-".**

## ٤-أعلام أهل السنة والجماعة:

بعد الإلمام بالتعريف بأهل السنة والجماعة عند العلماء المتقدمين والتنبيه على من هم أهل السنة ومم يتألفون، نتجه الآن للتعريف بأئمة وأعلام أهل السنة والجماعة فنقول: لا يخفى على أحد أن ظهور بعض الأقوال والفرق التي تخالف أهل السنة في بعض مبادئها كانت نقطة تحول كبري في التاريخ الإسلامي عموما، وعلي اعتبار أنه كان لهذه الفرق من يدافع عن مبادئها ويعمل علي نشر أفكارها فقد هيأ الله لأهل السنة أعلاماً يدافعون عنها بالحجة والدليل انتصاراً لدينهم وتمسكاً بسنة نبيهم ﷺ، ولهذا فمن الأحرى أن نُشير ونُعَرِّف، ولو بالنذر اليسير إلى أئمة مذهب أهل السُّنَّة ورجاله، وهم كالتالي:

### *الإمام أبو جعفر الطحاوي -رحمه الله- (ت ٣٢١ هـ):

هو أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك، أبو جعفر الطحاوي، نسبة إلى قرية (طحا) بصعيد مصر. المولود عام ٢٣٩ هـ، والمتوفى سنة ٣٢١هـ، والذي عاش في أخصب أزمان التدوين للحديث النبوي الشريف، وعاصر الأئمة الحفاظ أصحاب الكتب المعتمدة، وشارك بعضهم كالإمام مسلم وأبى داود وابن ماجه والنسائي في بعض شيوخهم، كما عاصر إمامي أهل السنة والجماعة، الإمام الأشعري والإمام الماتريدي، وهذا يعني أن الله تعالى قد قيض في عصر واحد وزمن واحد، ثلاثة أئمة أعلام حمل كل منهم في بلده وما والاها لواء الدفاع عن فكر أهل السنة والجماعة، فكان الإمام الطحاوي صاحب هذا الدور في مصر وما والاها من بلاد أفريقيا الإسلامية المعروفة اليوم بالمغرب العربي، وكان الإمام الأشعري في العراق وما حولها من بلاد الشام من ناحية ونجد الحجاز من ناحية ثانية، وكان

الإمام الماتريدي في بلاد ما وراء النهر وما حولها، ولم يكن عملهم في العصر نفسه عن ترتيب واتفاق، وإنما كان ذلك منهم استشعاراً لواجب المحافظة على العقيدة الإسلامية مصانة من التأثيرات الغريبة عنها التي وقعت فيها معظم المدارس الفكرية الإسلامية.. ولقد كانت شهرة الإمام الطحاوي في الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة، أو منهجهم الفكري من كتابه الماتع المفيد المتقن المعروف بالعقيدة الطحاوية، أو بعقيدة الطحاوي، وقد رد الإمام الطحاوي في هذا الكتاب على أهل البدع، وأصحاب الآراء المخالفة لأهل السنة والجماعة، وقد شرحت عقيدة الطحاوي شروحا كثيرة، من أشهرها وأكثرها ذيوعا شرح العلامة على بن محمد بن أبي العز الحنفي، وقد تلقى علماء مذاهب أهل السنة الأربعة ما قرره الإمام الطحاوي في عقيدته بالقبول والإقرار)[1]. ولقد حمل لواء المحافظة على هذا الفكر المستند إلى القرآن والسنة، هؤلاء الأعلام الثلاثة "الأشعري والماتريدي والطحاوي، الأول شافعي المذهب، والآخران حنفيان، وأصبح مصطلح أهل السنة والجماعة علماً على الذين يقولون بقول الأشعري والماتريدي، ويقبلون صياغة الطحاوي للعقيدة الإسلامية، ومن هؤلاء فقهاء أهل الرأي وأهل الحديث وقراؤهم ومتكلموهم، ومنهم أهل المذهب الظاهري.. والواقع أن الماتريدي قد سبق الأشعري فى نصرة قول أهل السنة والجماعة، والتصدي لأهل البدع والأهواء، لكنَّ الأشعري فاقه شهرة وأتباعاً، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)[2].

ولذلك سنخص الإمام الأشعري- رحمه الله- "إمام أهل السنة الأشهر"بمزيد من الدراسة: باعتباره إمامًا لجمهور المسلمين، ومجدداً في مجال الاشتغال العقدي الإسلامي على رأس المائة الثالثة، وهو الذي دون علم التوحيد، وهذب مطالبه، ونقح مشاربه، فهو

(١) انظر المدارس الفكرية الإسلامية، ص٣٢٤ – ٣٢٥، بتصرف يسير.

(٢) المرجع السابق، ص٣٢٧.

إمام أهل السنة بلا مدافع.

***الإمام أبو الحسن الأشعري-رحمه الله-ت(٣٢٤هـ):**

هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله، ﷺ. إمام المتكلمين، وهو صاحب الأصول والقائم بنصرة مذهب السنة، وإليه تنسب الطائفة الأشعرية، وشهرته تغني عن الإطالة في تعريفه، والقاضي أبو بكر الباقلاني ناصر مذهبه ومؤيد اعتقاده، وكان أبو الحسن يجلس أيام الجمع في حلقة أبي إسحاق المروزي الفقيه الشافعي في جامع المنصور ببغداد، ومولده سنة سبعين، وقيل ستين ومائتين بالبصرة، وتوفي سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة، وقيل: سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، وقيل: سنة ثلاثين.(١).

لقد ظهر الإمام أبو الحسن الأشعري - رحمه الله- في وقت رفعت فيه بعض الفرق الكلامية رؤوسها "فجحرهم في أقماع السمسم، وكان مؤتما بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، متمسكا بالدلائل العقلية والشواهد السمعية، وإذا تأملت كتب الحديث المتفق على صحتها كموطأ مالك رحمه الله وصحيحي البخاري ومسلم وجدته ناطقا عنهما وناقلا منهما لم يأت برأي ابتدعه ولا مذهب اخترعه، وسبيله في بسط القول في مسائل الأصول كسبيل مالك - رحمه الله- وغيره من الفقهاء فيما بسطوا القول فيه من مسائل الفروع.وقد أصبح المذهب الأشعري مرجعا أساسا لحفظ عقائد المسلمين، والرد على المحالفين.

قال العلامة طاش كبرى زاده- رحمه الله-: (ثم اعلم أن رئيس أهل السنة والجماعة في

---

(١) ينظر: عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح، طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق/ محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط١، ١٩٩٢م، ٢/ ٦٠٤، وينظر أيضًا: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر - بيروت، بدون، ٣/ ٢٨٤.

علم الكلام - يعني العقائد - رجلان، أحدهما حنفي والآخر شافعي؛ أما الحنفي فهو أبو منصور محمد بن محمود الماتريدي، إمام الهدى...، وأما الآخر الشافعي فهو شيخ السنة ورئيس الجماعة إمام المتكلمين وناصر سنة سيد المرسلين والذاب عن الدين والساعي في حفظ عقائد المسلمين، أبو الحسن الأشعري البصري، حامي جناب الشرع الشريف من الحديث المفترى، الذي قام في نصرة ملة الإسلام فنصرها نصراً مؤزراً)[1].

وقال الإمام القاضي عياض – رحمه الله- في ترجمته للإمام أبي الحسن الأشعري: " وصنف لأهل السنة التصانيف، وأقام الحجج على إثبات السنة، وما نفاه أهل البدع من صفات الله تعالى، ورؤيته، وقدم كلامه، وقدرته، وأمور السمع الواردة من الصراط والميزان والشفاعة والحوض وفتنة القبر التي نفت المعتزلة، وغير ذلك من مذاهب أهل السنة والحديث، فأقام الحجج الواضحة عليها من الكتاب والسنة والدلائل الواضحة ودفع شبه المبتدعة.

وهناك نص آخر للقاضي عياض يؤكد فيه هذه الحقيقة التي لا تترك مجالاً للشك في كون الإمام أبي الحسن الأشعري ظل وفيا لمذاهب أهل السنة والجماعة في مجال الاشتغال العقدي، يتعلمون على يديه أساليب الدفاع عن العقائد الدينية. حتى أصبح مصطلح الأشعرية مرادفا لمصطلح أهل السنة.

يقول القاضي عياض: "فلما كثرت تواليفه-الإمام الأشعري- وانتفع بقوله، وظهر لأهل الحديث والفقه ذبه عن السنن والدين، تعلق بكتبه أهل السنة، وأخذوا عنه، ودرسوا عليه، وتفقهوا في طريقه، وكثر طلبته وأتباعه لتعلم تلك الطرق في الذب عن السنة، وبسط الحجج

(١) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، احمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده ج٢/ ٣٣، دار الكتب العلمية-بيروت.

والأدلة في نصرة الملة فسموا باسمه وتلاهم أتباعهم وطلبتهم، فعرفوا بذلك وإنما كانوا يعرفون قبل ذلك بالمثبتة، سمة عرفتهم بها المعتزلة، إذ أثبتوا من السنة والشرع ما نفوه... فكذلك أبو الحسن، فأهل السنة من المشرق والمغرب بحججه يحتجون، وعلى منهاجه يذهبون، وقد أثنى عليه غير واحد منهم، وأثنوا على مذهبه وطريقه".[١] فالفترة التي عاش فيها أبو الحسن الأشعري، تمثل نتاج معترك قديم بين فرق زلت قدمها بالنسبة لكيفية تناولها للعقائد، إما لتأثرها ببعض آراء دخيله من تراث شرقي أو غربي قديم، أو لرغبة في إخضاع كل ما ورد في الشريعة للعقل البشري، وقد تصدت لها جماعة الأصوليين والفقهاء الذين أرادوا مقابلة هذا الانحراف بالثبات على موقف السلف الصالح، وهم الذين لم يتكلموا في المسائل التي طرحها المبتدعة، وحذروا من الخوض فيها.[٢]

فبعد هذا التحيز وقف الأشعري حياته على مكافحة المعتزلة والفلسفة اليونانية والفرق الضالة والزنادقة كفاحًا مستمراً لا كلال فيه، وقد ألف كتبًا كثيرة مؤثرة، ألف نحو مائتي كتاب لم ينته إلينا منها سوى القليل مع الأسف، وقد غدا مؤسسًا رئيسًا غير منازع لمذهب الكلام الفلسفي الإسلامي.

وقد انعكست دهشة الكاتب الغربي وحيرته في كلمات المستشرق فنسنك الذي قدم لنا عرضًا موجزاً عن الأدلة التي ساقها الأشعري للدلالة على أن الله سبحانه قد يُرَى (بضم الياء) في الجنة، وراح يقتبس ما يؤكد ولاءه لفكر أحمد بن حنبل في هذه القضية، ثم بعد هذا

---

(١) القاضي عياض بن موسى اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب السالك ج ط ٢ وزارة الاوقاف – المغرب.

(٢) د . محمد ابراهيم الفيومي، شيخ أهل السنة والجماعة الإمام أبو الحسن الأشعري: فحص نقدي لعلم الكلام الإسلامي، ص ١١٧ الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣م، دار الفكر العربي – القاهرة .

العرض يقول فنستك: ((أهذا هو الأشعري الذي تعرض تلاميذه ومريدوه للعنات الحنابلة، والذي يمقته ابن حزم مقتًا شديداً؟! أم أن الأشعري رجل ذو وجهين؟ ))

يقول (وات): إن هذا الاضطراب نشأ عن أن الباحث الغربي في القرن الأخير كان أقل تعاطفاً بكثير مع الأشعري، فمن المنطلق الليبرالي الذي تأثر به دائماً، فإن الخلاف بين المعتزلة ومعارضيهم أهل السنة كان يقوم غالباً كصراع بين حرية الفكر من ناحية وتشدد السلفية من ناحية أخرى، فنظرة فنسنك المؤمن بسيادة العقل كما يتجلى في الممارسة الحرة في نطاق عقيدة جعلته يتطرف في عدم التعاطف مع الأشعري الذي عده المسئول الأول عن انهيار العقلية الخالصة للمعتزلة، وقد وجدنا هذا الاتجاه على الأقل في زمن باكر نسبياً يعود لكتاب فون كريمر Von Kremer الذي يحمل عنوان chechte der herrschendenideenIslag المنشور سنة ١٨٦٨م .

واستمر – أي هذا الاتجاه – مع بعض التعديلات والمواءمات حتى الوقت الحالي، رغم أن كتابات الدكتور نيبرج Nyberg عن المعتزلة تعد علامة على بداية التغيير .

والدراسة الحالية تقوم على اتجاه مختلف تماماً وهو الاتجاه العقلي الخالص كما افترض فنسنك ونسي أن الأشعري يريد أن يقترب كثيراً من عقيدة أهل السنة. ولقد انتشرت أفكار الأشعري ومدرسته انتشاراً واسعاً بين المسلمين كتعبير عقلي مُرضٍ عن الدين الإسلامي بينما لم تلق أفكار المعتزلة قبولاً، وعلى هذا فإن القوى الحقيقية التي يجب أن نضعها في اعتبارنا هي القوى الممثلة في الأشعري ومن نحا نحوه إذا أردنا أن نفهم شيئاً عن الروح الأعمق للإسلام ومصدر قوته، وربما ساعدنا تحول الأشعري عن أفكار المعتزلة ليتخذ اتجاهاً أكثر تقليديه أو أقرب إلى مدرسة الحديث على فهم هذه النهاية.

إن قصة الأحلام التي رآها الأشعري بالإضافة إلى قصة الحوار حول الأخوة الثلاثة تشيران معاً إلى ما يمكن أن نقول عنه أن الأشعري قد ((أخضع العقل للوحي)) .

وعلى هذا، فهناك ما يؤكد ما ذهب إليه المستشرق (فنسنك) من أن الأشعري في كتابه الإبانة، بدأ مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بالقرآن والسنة، إذ أن استشهاداته تتكون أساسًا من هذين المصدرين، لكن الجزء الأخير من ملاحظة فنسنك غير متوازن (أو يتناول الأمور من جانب واحد) فهناك فروق واضحة وصارخة بين الأدلة.[١]

لقد لخص الأب آلار آراء بعض الباحثين في سبب تحوله عن الاعتزال .فقال: إن ماكدونالد يرى أن بيئته

العامة ببغداد حيث كان يغلب الاتجاه الحنبلي هي التي دفعته إلى الخروج عن الاعتزال.

كما ثبت رأي د. وات الذي صرح بأن السبب هو غيرة الأشعري من أبي هاشم ابن أبي علي الجبائي الذي كان أيضًا تلميذاً لأبيه وذلك لإغفال الأشعري اسمه في كتاب (المقالات) ويرد عليه الأب آلار بأن الأشعري قد كتب (جوابات عن أسئلة أبي هاشم) أملاه استجابة لطلب ابن صالح الطبري وذلك طبقًا لقائمة الكتب التي يقدمها ابن فورك. ومن الآراء في تبرير التحول ما يعتمد على الرأي الذي ساد عن الجبائي في أخريات أيامه وسوء نظرة السلطة الحاكمة إليه بسبب صداقته للشيعي أبي سهل بن نوبخت اعتماداً عن ما ذكره ماسنيون كما أثبت رأي الأهوازي الذي يرد تحوله إلى أنه خشي ألا يرث في أحد أقاربه بعد وفاته بسبب اعتزاله وأنه أيضًا خرج عن الاعتزال لاكتشافه أنه لم يوصله إلى مكانه عليًا بين الناس تناسب ما كان يصبو إليه . ويرفض ابن عساكر كل هذه الافتراضات التي قالها الأهوازي عن الحرناني.[٢]

لا تلقى كتب تاريخ الفرق الإسلامية أضواء على علاقة الأشعري بشيخه الجبائي إلا أنه

---

(١) المرجع السابق، ص ١١٧.

(٢) نفسه، ص ١٧٥ .

تزوج أمه لكن ماهي علاقتهما؟ من حيث الجانب الاجتماعي والتربوي والثقافي .. إلى آخر تلك الأسئلة التي تدور في ذهن الباحث في حياتهما. لقد نضبت المادة العلمية التي تصور علاقة الجبائي بالأشعري منخلال زمن لزومه لشيخه قرابة أربعين عاماً أو ثلاثين عاماً على حسب اجتهاد الباحثين.

### ⇐ الإمام الأشعري ينتهج نهجَ أهلِ السُّنّةِ والجَمَاعة:

تميزت حركة الإمام الأشعري بالموقف الوسط فلم تجمد أمام النص ولم تقف عند العقل وإنما وازنت بين النقل

والعقل لذلك كان انتشارها أوسع مدى وإقبال الناس عليها واسعاً وقدر لها أن تنال القبول الكامل والرضا التام في نفوس أهل السنة والجماعة وأصحاب الحديث بعد ذلك بمدة من الزمان ليست بالقصيرة. لاحظ بعض الباحثين أن السر في نجاح حركة الأشعري يكمن في موقفه المتوسط الذي اتخذه في أغلب المسائل التي عرض لها هو توسط بين العقل والنقل – كما يقولون – فلم يرفض اعتبار العقل من أسس المعرفة والعلم – كما فعل أهل الحديث – ولم ينتقص من أهمية النقل والنصوص في هذا المجال. فكان توسطه سبباً في إقناع أهل السنة به وبمذهبه فيما بعد.(١)

### ⇐ موضوعية الإمام الأشعري ونزاهته العلمية:

كان الإمامُ الأشعري نزيهاً وصادقاً فحكى مذاهب خصومه بدقة وأمانة في كتابه (مقالات الإسلاميين) ثم ردَّ بعد ذلك عليهم.

### ⇐ نصرة الإمام الأشعري لعقائد أهل السنة والجماعة:

لقد كرس الإمام أبو الحسن الأشعري حياته لنصرة عقائد أهل السنة والجماعة بأدلة

---

(١) نفسه، ص ٣٦٥ .

عقلية ومنطقية تستند إلى ما قرره الشرع الحكيم.

وبهذه الوسطية التي أضحت سمة بارزة في المذهب الأشعري عموما استطاع هذا المذهب أن يصمد أمام مختلف التيارات الفكرية التي عرفتها الحياة الإسلامية ووجد طريقه للانتشار بين مختلف أقطار العالم الإسلامي.

إن اعتبار جميع أهل القبلة مسلمين لا يجوز تكفيرهم، وهذا أصل مهم عند الإمام أبي الحسن الأشعري يجعل هذا المذهب الذي يمثل قمة التسامح الديني بإعلانه عن هذه المبادئ الأساسية منسجما تماما مع حياتنا الدينية المعاصرة وينفعها أجل النفع.

وكانت له صيغ يستعملها للأقوال التي لا يميل إليها كقوله: (زعم ... وقال آخرون ... وكان يقول ... وقال قائلون ... وأظنه كان يقول إلى آخره .

ومثل هذه الصيغ كان المؤلف يستعملها تعبيراً عن رأيه في المسألة لكنها لا تخدش الموضوعية التي حكمت كتاب مقالات الإسلاميين ورفعت من شأن الأشعري وشأن الكتاب وفرضته على خصومه في الرأي . فلم يكن فاحشاً ولا سباباً ولا برأي ضاق به فكان أميناً في عرضه، دقيقاً في منهجه واسع الثقافة بالآراء والمذاهب فجاء كتابه يتصدر كتب الفرق التي شاركته في فنه لما تميز به .

ولقد اهتم به الباحثون قديماً وحديثاً لأهميته العلمية.[1]

## ⇐انتشار المذهب الأشعري:

في سياق التعريف بأهم وأبرز مؤسسين مذاهب أهل السنة والجماعة في تاريخ العقيدة الإسلامية يمكن القول أنَّ الإمام أبو الحسن الأشعري قد استطاع بمنهجه الوسطي الذي

(١) د . محمد ابراهيم الفيومي، شيخ أهل السنة والجماعة الإمام أبو الحسن الأشعري: فحص نقدي لعلم الكلام الإسلامي، ص ٧٥ .

استعمله في الدفاع عن عقائد أهل السنة والجماعة أن يتدرج بمفكري هذه العقائد من مستوى النظرة الضيقة للنصوص العقدية أو القراءة الحرفية لتلك النصوص والتي تنتهي حتما إلى إقرار عقيدة التشبيه والتجسيم المرفوضة إسلاميا؛ إلى مستوى سامي من التفكير العقلاني الذي يحقق التنزيه المطلق وبهذا التيار الموصول من مفكري (الأشاعرة) نستدل على مدى نجاح رائدهم الذي حدد للتجربة الفلسفية في ((الكلام)) الإسلامي مستوى وسطًا لا ينحرف نحو ((العقل الفلسفي الجاف)) ولا يكتفي بالتسليم الساذج دون بذل الحد الأدنى من جهد التفكر والروية، وقد اختار (الأشعري) هذا الموقف الوسط في القضايا التي عالجها في حياته، ثم استمر تقليد أتباعه لموقفه وآرائه في تلك القضايا وفي القضايا الجديدة التي ظهرت عبر العصور المتلاحقة.(١)

ولقد قام أئمة المذهب الأشعري بدور بارز في التأسيس للفكر السني العقلاني الذي كان يقوم بمهام ثلاث:

١ – الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة بأسلحة من الأدلة العقلية والمنطقية، ومناظرة مختلف التيارات الكلامية التي استعملت نفس الأدوات.

٢ – التدليل على قضايا أصول الدين بما يحقق مبدأ الإتباع والانتفاع في نطاق التأويل التفصيلي للنصوص الشرعية الموهمة للتشبيه.

٣ – الالتزام الكامل بالشريعة مع عدم رفع الفروع العملية إلى مستوى الأصول الاعتقادية.

## ⇐ منهج الأزهر الشريف في العقيدة هو تأكيدٌ لأصالةِ ووسطيةِ المذهب الأشعري

الأزهر الشريف هو منارة العلوم الاسلامية وحامل لوائها الى العالم كله، إنه ترجمة فعلية لأصول الدين وعلومه .ومن هذه العلوم: علم العقيدة الذي قام على الوسطية

(١) المرجع السابق، ص ١٠٣ – ١٠٥.

الاسلامية المتمثلة في المنهج الاشعري.

## ⇐ وسطية المنهج الأشعري في العقيدة:

تعتبر وسطية المذهب الأشعري من أهم العوامل التي ساعدت على ذيوعه وانتشاره في ربوع العالم الاسلامي لأنه (منهج آوي إلي العقل ولاذ به في المعضلات، واعتمد عليه في كل شيء، واتخذه سبيلاً لفهم كل شيء إيمانـًا من أتباعه بقدرة العقل علي إدراك كل شيء، وبجانب هذا الإيمان المطلق بقدرات العقل البشري كان للنص الشرعي دور لكنه دور ثانوي، فما هوا إلا معضد لمقررات العقول، وإذا تعارض صريح النصوص مع مقررات العقول الصحيحة يطرح النص أو يؤول بحيث يتفق مع ما أدي إليه النظر العقلي الصحيح، وهذا هو منهج المعتزلة.[١]

وعلي الجانب المقابل وقف أنصار المنهج النصي الذين آمنوا بالنص الشرعي إيمانـًا كاملاً، وأجروا النصوص علي ظواهرها، وقد كان طبيعيـًا أن يطرح هؤلاء العقول مطلقـًا إيمانـًا منهم بأن العقل لا دور له مع النص إلا التلقي والقبول، وقد أداهم مذهبهم هذا إلي التشبيه والتجسيم تعالي الله عن ذلك علواً كبيراً .[٢]

في ظل هذين المذهبين المتقابلين ظهر المذهب الأشعري الذي كان مذهبـًا متوسطـًا بين هؤلاء وأولئك، وفي هذا المذهب ظهر التآخي والترابط بين النص الصريح والعقل الصحيح، وهما في الحقيقة متفقان لا يختلفان .

ومنهج الأشعرية وإن كان يؤمن بالعقل والنقل معـًا ويؤلف بينهما إلا أنه يقضي بتقديم

---

(١) الامام محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، صـ ١٢٣، ط دار الفكر العربي-القاهرة، الدكتور محمد عمارة، تيارات الفكر الإسلامي، صـ ٤٣، ط الرابعة ٢٠١١، دار الشروق-القاهرة .

(٢) أبو الحسن تقي الدين السبكي، السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ابو الحسن تقي الدين السبكي، صـ٢٢، المكتبة الازهرية -القاهرة.

النص تقديماً مطلقاً، وفي الوقت ذاته لا يهمل العقل، ولا يلغي دوره تماماً، وإنما أفسح له مجالاً يعمل فيه ظل النص.(١)

**⇐العقيدة الأشعرية هي امتدادٌ متطور لمنهج السلف الصالح:**

لم تكن العقيدة الأشعرية عقيدة مبتدعة مخترعة، وإنما هي ترجمة لما كان عليه سلف الأمة، فإن الشيخ الأشعري

وسائر أصحابه لم يبدعوا رأياً، ولم يؤسسوا مذهباً مخترعاً، وإنما أخذوا المذاهب المروية عن السلف، ودافعوا عنها، ودعموها بأوضح البراهين وأقواها، فصار المنتسب إليهم يسمي أشعرياً بهذا الاعتبار.

فكل ما فعله الأشعري وأتباعه هو صياغة مذهب عقدي ينصر فيه القرآن والسنة بدلالات العقول.(٢)

**⇐رأي الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الأستاذ الدكتور/ أحمد الطيب ( حفظه الله):**

قال الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد الطيب (حفظه الله): " إن السبب وراء سيادة المذهب الأشعري، هو اتصافه بالاعتدال والوسطية، فلا إفراط ولا تفريط فيه، بل كان ناطقًا بما جاءت به نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، مما أدى إلى انتشاره في جميع أنحاء العالم، وتبنى المؤسسات العلمية له.

وقد تبنى الأزهر الشريف المذهب الأشعري، وروَّجه في سائر أقطار المسلمين؛ لأنه وجد فيه العلاج الناجح لأمراض وعلل أصابت الفكر الديني، خاصة في القرنين الماضيين،

---

(١) د/ محمدعمارة، تيارات الفكر الإسلامي صـ ١٦٨.

(٢) الإمام الأكبرشيخ الأزهرالشريف. أ.د/ أحمدالطيب، مقالات في التجديد، صـ ١١، ط الأزهرالشريف.

بسبب فرض المذهب الواحد والرأي الواحد الذي قضى على مكمن القوة في أمة الإسلام ووضعها في ذيل قائمة الأمم، مضيفا أنه ومع تمسك الأزهر وعلمائه بالمذهب الأشعري فإنه أفسح المجال واسعا لكل المذاهب الكلامية الأخرى، وينظر إليها بحسبانها مذاهب إسلامية تستظل بظلال الإسلام الوارفة التي يستظل بها كل من ينطق بالشهادتين ويصلي إلى القبلة ويأتي أركان الإسلام والإيمان ".[١]

لعلنا نجد في هذه المقاربة المختصرة بعض التعريف بأئمة أهل السنة والجماعة، تعريفًا ورؤية ومنهجا في ظل أسس عقدية قام عليها المذهب وتأسست عليها هذه المدرسة، ويأتي في إطار هذه المقاربة أحد كبار الأئمة الأعلام وهو الإمام الماتريدي -رحمه الله- والذي يمكن بسط التعريف به على النحو التالي:

*** الإمام أبو منصور الماتريدي -رحمه الله- (ت ٣٣٣ هـ):**

هو الإمام محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي، من كبار أئمة علماء الكلام، تخرج على أبي نصر العياضي وكان يقال له إمام الهدى و "إمام المتكلمين، و "مصحح عقائد المسلمين" و "رئيس أهل السنة" وإليه نسبة الماتريدية، توفي سنة ٣٣٣هـ، وقبره بسمرقند، وله العديد من الكتب والمؤلفات منها: كتاب التوحيد وكتاب المقالات وكتاب رد أهل الأدلة للكعبي، وكتاب بيان أوهام المعتزلة، وكتاب تأويلات القرآن، وهو كتاب لا يوازيه فيه كتاب بل لا يدانيه شيء من تصانيف من سبقه في ذلك الفن وله كتب شتى مات سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مائة بعد وفاة أبي الحسن الأشعري وقبره بسمرقند[٢].

---

(١) أ. د/ أحمد الطيب، فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يجيب عن سؤال: لماذا يتبنى الأزهر المذهب الأشعري؟، www.alarabia.net، الأربعاء ٤رجب ١٤٣٦هـ- ٢٢إبريل٢٠١٥م.

(٢) ينظر: عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي، الجواهر المضية في =

وتعد الماتريدية شقيقة الأشعرية، وذلك لما بينهما من الائتلاف والاتفاق حتى لكأنهما فرقة واحدة، ويصعب التفريق بينهما. ولذلك يصرح كل من الأشاعرة والماتريدية بأن كلاً من أبى الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي هما إماما أهل السنة على حد تعبيرهم، لعل هذا التوافق مع كونه يرجع إلى سبب رئيسي وهو توافق أفكار الفرقتين وقلة المسائل الخلافية بينهما وخاصة مع الأشعرية المتأخرة.(١)

والحاصل: أن خطة مذهب أهل السنة والجماعة بعلمائه كافة، هي الاعتدال والتوسط في مجال المعرفة بين التسليم التام بالوحي والانقياد في الفهم والمعرفة الواقعية لحكم العقل، وهي أولاً وأخيراً تقدم منهجًا في فهم الإسلام، لا يغلق النص على الفاظه وفحواه، ولا يطلق العقل ليرى ما يراه) .(٢)

(ولئن لم تحقق أفكار الطحاوي والماتريدي إلا انتشاراً محدوداً، فإن أتباع الأشعري تمكنوا من تحويل أفكار شيخهم إلى مذهب كلامي واسع الانتشار تأخذ به أعداد متزايدة من علماء السنة والعوام المتأثرين بأفكارهم،

ولم يتحقق هذا الانتشار بيسر وسرعة بل تطلب جهوداً وتضحيات) .(٣)

---

=

طبقات الحنفية، بدون، مير محمد كتب خانه، كراتشي، ٢/ ١٣٠: ١٣١. وينظر أيضًا: أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني، تاج التراجم، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، ط١، ١٤١٣هـ -١٩٩٢م، دار القلم - دمشق، ١/ ٢٤٩: ٢٥٠.

(١) ينظر: سعد الدين التفتازاني، شرح المقاصد في علم الكلام، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، دار المعارف النعمانية -باكستان، ٢/ ٢٧١. وينظر أيضًا: شمس الدين الذهبي، تحقيق/ محمد بن خليفة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة - السعودية، ١/ ٦٨.

(٢) المدارس الفكرية الإسلامية، ص٣٢٩

(٣) محمد بو هلال، إسلام المتكلمين، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.

**والخلاصة التي أحاول رصدها من خلال الإطلالة السريعة على رواد مذهب أهل السنة تتمثل فيما يلي:**

١ – أنَّ مذهب أهل السنة والجماعة قائم على أساس منهجي موحد تقارب كثيرًا في الطرح بين أئمة المذهب، وتوافق في الأصول واختلفوا في بعض الفروع.

٢ – أنَّ أئمة المذهب الأشعري قاموا بدورٍ بارزٍ في التأسيس للفكر السُّني العقلاني القائم على الالتزام الكامل والإتباع.

٣ – أنَّ مجال المعرفة عند أهل السنة قائم على التسليم التام بالوحي والانقياد في الفهم والمعرفة الواقعية بحكم العقل.

٤ – أنَّ مذهب أهل السنة والجماعة قائمٌ على قوة الحجة، وسطوع البرهان والتدبر في آيات الله وتحصيل الكمال بالتأمل والبرهان الفعلي.

**تعقيب:**

من النتائج التي أحسبها مهمة على صعيد البحث أنه كان للأئمة الأعلام وأئمة أهل السنة والجماعة الحضور البارز والدليل الواضح على صحة اعتقادهم مما أدى أيضًا إلى اقتناع جمهور المسلمين بأصول مذهبهم في قلوبهم وعقولهم.

ومن خلال ما سبق أيضا يتبين أن موقف المستشرقين من أهل السنة والجماعة إنما هو نابع من: موقف عام تجاه الإسلام عمومًا، ومن موقف خاص تجاه أهل السنة والجماعة، أما عن موقفهم تجاه الإسلام عمومًا فيمكن القول إن: سوء الظن وقلة الفهم لكل ما يتصل بالإسلام ورجاله وعلمائه، وجهلهم بطبيعة المجتمع الإسلامي، وتحريفهم النصوص في كثير من الأوقات، ومحاولة إخضاع النصوص لتتوافق مع أهوائهم، فيقبلون منها ما يرونه صحيحًا، ويرفضون الآخر.

وكل هذا لأن العنصر الأساسي المسيطر على هؤلاء المستشرقين أثناء بحثهم في تلك

المسألة هو التعصب والعنصرية، فتدفع الباحث إلى التحيز لحضارته وثقافته، ومحاولة إثباته بكافة الطرق والوسائل مدى الإبداع الفكري والحضاري الذي توصلت إليه بلده، وبذلك نكون قد افتقدنا عنصرًا أساسيًا من عناصر البحث، وهو الموضوعية العلمية.

وهذا التعصب الفكري كان سببًا من أهم الأسباب التي أدت إلى تراجعهم الفكري والعلمي في فترات زمنية معينة، فهؤلاء المستشرقون وإن كانوا ينادون بالحرية إلا أن هذه الحرية لا يمكن تطبيقها إذ لم يعترفوا بحرية الآخرين الفكرية.

أما عن موقفهم الخاص تجاه أهل السنة والجماعة فيمكن تلخيصه في النقاط الآتية:

١ - تعظيم شأن الفرق الإسلامية وخاصة المخالفة منها.

٢ - التباس مفهوم أهل السنة والجماعة تاريخيًا لدى معظم المستشرقين.

٣ - محاولة تأكيدهم أن دور أهل السنة والجماعة، دور مصطنع لأغراض سياسية بحته - حسب ما يدعي بعض المستشرقين -وهذا ما أبطلناه من خلال استعراض تاريخ أهل السنة.

## خاتمة

بعد هذا العرض المبسط لمفهوم أهل السنة في الفكر الاستشراقي أخلص إلى النتائج الآتية:

١-اتسم النتاج العلمي للدراسات الاستشراقية بتعدد موضوعاته وتنوع قضاياه خلال القرنيين الماضيين، وارتبطت هذه الدراسة ببعض الدراسات المتعلقة بالفرق الإسلامية عمومًا، وأهل السنة بوجه خاص.

٢-المطالع لنتاج الفكر الاستشراقي وخاصة المتعلق بتاريخ الإسلام والفرق المنتسبة إليه؛ يكاد يلمح التداول السطحي لمفهوم أهل السنة والجماعة وتاريخهم ومناهجهم.

٣-هناك محددات ومناهج عامة اتسمت بها الدراسات الاستشراقية في تناولها لتاريخ الفرق الإسلامية مثل التعظيم من شأن الفرق الدينية ودورها في المجتمع الإسلامي، والمبالغة في الدور الديني لهذه الفرق، والتركيز على الطوائف والأقليات المسلمة.

٤-في الغالب الأعم يري بعض المستشرقين أن مذهب أهل السنة في المجتمع الإسلامي هو تطور من تطورات القرنين الرابع والخامس الهجري.

٥-أهل السنة والجماعة مصطلح ظهر للدلالة علي من كان علي منهج السلف الصالح من التمسك بالقرآن الكريم والسنن والآثار المروية عن الرسول ﷺ وأصحابه - رضوان الله عليهم أجمعين - لتميزه عن مذاهب المبتدعة وأهل الأهواء.

٦-مصطلح أهل السنة إذا أطلق في كتب العلماء فالمقصود به الأشاعرة والماتريدية وأصحاب الحديث بحسب أقوال العلماء المتقدمين.

٧-أول من نهض من أهل السنة للتدليل على العقائد الإيمانية دفعًا لبدع المعتزلة بالأدلة العقلية هو الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله.

٨-يشترك أهل السنة جميعًا في جملة من الخصائص العامة والقواعد الثابتة مع اختلاف

بسيط في بعض القضايا الفرعية.

٩-أئمة أهل السنة والجماعة هم الطحاوي، والماتريدي، والأشعري، رحمهم الله أجمعين.

١٠-الإمام أبو الحسن الأشعري -رحمه الله- هو إمام أهل السنة والجماعة الأشهر بحسب أقوال العلماء المتقدمين.

## توصيات البحث:

توصل الباحث إلي عدة توصيات أهمها:

١-ضرورة مطالعة نتاج الفكر الاستشراقي في مجال دراسة الفرق الإسلامية والتعمق في دراستها لكشف جوانب الصواب والمغالطات في مثل هذه الدراسات.

٢-الاعتدال والتوسط لدى أهل السنة في فهم الإسلام باعتبار الوسطية المعلم الأساسي لهذه الأمة الإسلامية

٣-دراسة الأفكار والمناهج المخالفة للفرق الأخرى ونقدها نقدًا علميًا يظهر عطبها.

٤-ضرورة التوسع في الدراسات ذات الصلة بأهل السنة والجماعة لإبراز دورهم وتوضيح مذهبهم، ومناهجهم، ورؤيتهم وفهمهم للإسلام.

**وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.**

## المصادر والمراجع

١- إبراهيم مصطفي وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٤، ٢٠٠٤م.

٢- ابن عجيبة الحسني، تفسير الفاتحة الكبير المسمى بالبحر المديد، تحقيق: بسام محمد بارود، دار طوق النجاة، ب، ت.

٣- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٤- أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق/ إحسان عباس، ط ١٩٠٠م، دار صادر، بيروت- لبنان.

٥- أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق/ أبي محمد بن محمد بن فريد، المكتبة التوفيقية، الباب الأخضر_ سيدنا الحسين، مصر.

٦- أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني، تاج التراجم، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، ط١، ١٤١٣هـ -١٩٩٢م، دار القلم –دمشق.

٧- أبو الفيض، الملقب بالمرتضى الزبيدي، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١٤١٤ه- ١٩٩٤م.

٨- أبو الفيض، الملقب بالمرتضى الزبيدي، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم

الدين .

٩- أبو المظفر الإسفراييني، التبصير في الدين، تحقيق كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، لبنان- بيروت، ط١، ١٤٠٣ه- ١٩٨٣م.

١٠- أبو عمرو الداني، الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات، تحقيق: دغش بن شبيب العجمي، دار الإمام أحمد، الكويت، ط١، ١٤٢١ه- ٢٠٠٠م.

١١- أبو منصور الإسفراييني، الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية، دار الأفاق الجديدة- بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.

١٢- أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس، الفتاوى الحديثية، دار الفكر، بدون.

١٣- أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق، ، ط دار المعارف - القاهرة ١٩٦٤ .

١٤- إدوارد سعيد: الاستشراق رسالة استعمار، دار الفكر العربي، بيروت ١٩٩٣ .

١٥- أليكسي جورافسكي، الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، ، د. خلف محمد الجراد، دار الفكر –دمشق، ط٢، ربيع الأول ١٤٢١هـ- حزيران (يونيو) ٢٠٠٠م.

١٦- تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق د/ محمود محمد الطناحي- د/ عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، ١٤١٣هـ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٧- جان دي جاك وارنبردغ، المستشرقون، ترجمة: أنس عبدالله الخالق محمود ط١، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١٤).

١٨- جلال الدين الداوني، شرح العقائد العضدية، دار إحياء التراث العربي، بدون.

١٩- جمال الدين أحمد محمد بن سعيد الغزنوي، أصول الدين، بدون.

٢٠- جواد علي: يوحنا الدمشقي، مجلة الرسالة (مصر)، (عدد ٦١٠)، ص٢٤٣، ربيع الأول ١٣٦٤ هـ/ مارس ١٩٤٥م.

٢١- خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، الأعلام، ط١٥، مايو ٢٠٠٢م، دار العلم للملايين.

٢٢- د .مصباح منصور مطاوع، الاستشراق والتبشير، ١٤٥٢هـ/ ٢٠٢٠م، ب ط.

٢٣- د- عبد الجليل شلبي: صور استشراقية، نشر مجمع البحوث الإسلامية ١٣٩٨ - ١٩٧٨ م

٢٤- د. محمد سليم العوا، المدارس الفكرية الإسلامية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٦م.

٢٥- د. ميشال جحا، الدراسات العربية الإسلامية فى أوروبا، ط١، العدد٢٨، معهد الانماء العربى-بيروت.

٢٦- د. يوسف عز الدين، نحو دراسة علمية منظمة: الاستشراق وبواعثه وماله وما عليه، مجلة المنهل، العدد (٥٤٠)، المجلد (٥٩) العام (٦٣)، المحرم١٤١٨هـ، مايو١٩٩٧.

٢٧- د/ أحمد محمود هويدى، الاستشراق الألمانى تاريخه وواقعه وتوجهاته المستقبلية، القاهرة ١٤٢٠ه- ٢٠٠٠م.

٢٨- د/ الخضر بن بو زيد، الدراسات الاستشراقية وخطرها على العقيدة والفكر الإسلامي، دراسات استشراقية، العدد٢٠١٨، ١٥، تصدر عن المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العراق.

٢٩- د/ طالب جاسم العنزي، سجدة الحساني، أبعاد ومحددات الرؤية الاستشراقية في دراسة التراث التاريخ الإسلامي، دراسات استشراقية، العدد١٥، ٢٠١٨م.

٣٠- د/ عباس محمد حسن سليمان، الصلة بين علم الكلام والفلسفة في الفكر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨م.

٣١- د/ عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط٣، يوليو ١٩٩٣م.

٣٢- د/ علي الوردي، دراسة في سوسيولوجيا الإسلام، ترجمة رافد الأسدي، ٢٠١٣م، دار الوراق، لندن، دار الفرات –لبنان.

٣٣- د/ محمد خليفة حسن أحمد، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، كلية الآداب جامعة القاهرة، الطبعة الأولي، ١٩٩٧م.

٣٤- د/ عبدالله يوسف الشاذلي الاستشراق: مفاهيم و صلات، جهود، -بدون .

٣٥- رودي بارت، الدراسات العربية الإسلامية فى الجامعات الألمانية، ترجمة مصطف ماهر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م.

٣٦- ساسي سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م.

٣٧- سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، شرح المقاصد في علم الكلام، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، دار المعارف النعمانية -باكستان.

٣٨- سليمان أحمد الضاهر: لاهوت يوحنا الدمشقي بيروت: منشورات النور ١٩٨٤م،

٣٩- السيد محمد مهدي أفضلي "التحول الفلسفي لعلم الكلام خيار خاطئ أم ضرورة لا مفر منها؟ " ترجمة/ الشيخ محمد حسن زراقط. مجلة المنهاج، عدد ٢٠١٥م.

٤٠- سيديو، خلاصة تاريخ العرب، ، دار الآثار -بيروت - ١٤٠٠هـ.

٤١- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمازالذهبي، العرش، تحقيق/ محمد بن خليفة بن علي التميمي، ط٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية.

٤٢- شمس الدين الاسفراييني الحنبلي، لوامع الأنوارالبهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، ط٢، ١٤٠٢ه- ١٩٨٢م، ١ / ٧٣.

٤٣- الشيخ محمود أبو دقيقة، القول السديد في علم التوحيد، تحقيق وتعليق: عوض الله جاد حجازي، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع.

٤٤- طاهر بن محمد الأسفراييني أبو المظفر، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، تحقيق: كمال الحوت، عالم الكتب، لبنان.

٤٥- عبد الإله بلقزيز، الاستشراق وحدوده المعرفية المنهجية، في نقديات محمد أركون، ضمن كتاب: محمد أركون المفكر والباحث والإنسان مجموعة باحثين، ط١، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١١م.

٤٦- عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٤.

٤٧- عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين (المعتزلة- الأشاعرة- الإسماعيلية- القرامطة- النصيرية)، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، أبريل١٩٩٧، بدون.

٤٨- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير الاستشراق الاستعمار، دار القلم دمشق، ط٨، ٢٠٠٠م .

٤٩- عبد الرحيم الوهابى، إشكالية تأريخ بداية الاستشراق، الوعى الإسلامى، العدد ٣٧٩، .تصدر عن وزارة الاوقاف بدولة الكويت .

٥٠- عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، بدون، مير محمد كتب خانه، كراتشي.

٥١- عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور، الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية، ط٢، ١٩٧٧م، دار الآفاق الجديدة، بيروت- لبنان.

٥٢- عبد الله محمد الامين النعيمي: الاستشراق في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الامريكية ١٩٩٧م.

٥٣- عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح، طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق/ محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية –بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

٥٤- عضد الدين الإيجي، المواقف، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، لبنان- بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٥٥- العلامة كمال الدين أحمد البياضي الحنفي، إشارات المرام من عبارات الإمام، حققه وعلق عليه وضبطه/ يوسف عبد الرازق، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م.

٥٦- قيس ماضي فرو، المعرفة التاريخية في الغرب مقاربات فلسفية وعلمية أدبية، ط١، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٣م.

٥٧- محمد إبراهيم الفيومي: الاستشراق رسالة إستعمار، دار الفكر العربي، بيروت ١٩٩٣م.

٥٨- محمد القاضي: (الاستعراب الإسباني والتراث الأندلسي من خلال ثلاثة نماذج: خوان أندريس –غاينغوس – ريبيرا) مجلة التاريخ العربي، عدد ١٥.

٥٩- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان، ١٩٨٦ .

٦٠- محمد بن يعقوب مجد الدين الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسى، مؤسسة الرسالة- بيروت، ٢٠٠٥ .

٦١- محمد بو هلال، إسلام المتكلمين، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٦م

٦٢- محمد عابد الجابري: التراث والحداثة" دراسة ومناقشات " ط٣ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٦ م.

٦٣- محمد فتح الله الزيادي –الاستشراق في الميزان –مجلة رسالة الجهاد الليبية عدد ابريل سنة١٩٩١م.

٦٤- محمد فتح الله الزيادي: الاستشراق أهدافه ووسائله، دمشق: دار قتيبة، ط٢، ٢٠٠٢ م.

٦٥- محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، كتاب الأمة.

٦٦- مصطفى السباعى، الاستشراق والمستشرقون، ، ط٣، المكتب الإسلامى- بيروت دمشق.

٦٧- مصطفي السباعي (الاستشراق والمستشرقون)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢.

٦٨- المعجم العلمي للمعتقدات الدينية، The Scientific Lexicon of Religious Beliefes، تعريب وتحرير: سعد الفيشاوي، Arabicized & Edited BY Saad EL FASHAWY.الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٦٩- نجيب العقيقي، المستشرقون دار المعارف بمصر، ١٩٦٤م، ط٣.

٧٠- يحي مراد: معجم أسماء المستشرقين –بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ.

## فهرس الموضوعات

**الدراسات الاستشراقية حول أهل السنة (عرض ونقد)** ..... ٩١٤
ملخص البحث باللغة العربية: ..... ٩١٦
ملخص البحث باللغة الإنجليزية: ..... ٩١٧
**المُقَدّمَة** ..... ٩١٨
مدخل: ..... ٩٢١
**المبحث الأول: الدراسات الاستشراقية (التعريف - مراحل التطور - مناهج البحث الاستشراقي في الفرق الإسلامية)** ..... ٩٢٢
أولاً: مصطلح الدراسات الاستشراقية: ..... ٩٢٢
مفهوم الاستشراق في اللغات الاوربية: ..... ٩٢٦
⇐ دلالات الاستشراق: ..... ٩٢٧
⇐ أسباب ظهور الاستشراق: ..... ٩٢٩
⇐ إشكالية تأريخ الاستشراق: ..... ٩٢٩
⇐ الاستشراق ونشأته: ..... ٩٣٠
⇐ رأى علماء الغرب في نشأة الاستشراق: ..... ٩٣٣
ثانيًا: مراحل تطور الاستشراق: ..... ٩٣٧
المبحث الثاني: أهل السنة والجماعة في الدراسات الاستشراقية **(عرض لأهم الرؤى الاستشراقية المتعلقة بأهل السنة والجماعة)** ..... ٩٤١
أولاً: (مونتجمري وات): ..... ٩٤١
ثانيًا: المستشرق (دي لاسي أوليري): ..... ٩٤٨
ثالثًا: المستشرق سيديو: ..... ٩٤٩

رابعًا: ماكدونالد: ..... ٩٥٠
خامسًا: جوزيف شاخت: ..... ٩٥٢
سادسًا: الإستشراق الروسي: ..... ٩٥٤
**المبحث الثالث: نقد عام للأفكار الاستشراقية حول أهل السنة** ..... ٩٥٧
الأول: نقد محددات ومناهج الفكر الاستشراقي في دراسة تاريخ الفرق الإسلامية: .. ٩٥٨
الثاني: نقد الفكر الاستشراقي حول مفهوم أهل السنة ..... ٩٦٩
٤ - أعلام أهل السنة والجماعة: ..... ٩٨٤
* الإمام أبو جعفر الطحاوي - رحمه الله - (ت ٣٢١ هـ): ..... ٩٨٤
* الإمام أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - ت (٣٢٤ هـ): ..... ٩٨٦
⇐ الإمام الأشْعري ينتهج نهجَ أهلِ السُّنَّةِ والجَمَاعة: ..... ٩٩١
⇐ موضوعية الإمام الأشعري ونزاهته العلمية: ..... ٩٩١
⇐ نصرة الإمام الأشعري لعقائد أهل السنة والجماعة: ..... ٩٩١
⇐ انتشار المذهب الأشعري: ..... ٩٩٢
⇐ منهج الأزهر الشريف في العقيدة هو تأكيدٌ لأصالةِ ووسطيةِ المذهبِ الأشعري .... ٩٩٣
⇐ وسطية المنهج الأشعري في العقيدة: ..... ٩٩٤
⇐ العقيدة الأشعرية هي امتدادٌ متطور لمنهج السلف الصالح: ..... ٩٩٥
⇐ رأي الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف أ. د/ أحمد الطيب (حفظه الله): ..... ٩٩٥
*الإمام أبو منصور الماتريدي - رحمه الله - (ت ٣٣٣ هـ): ..... ٩٩٦
تعقيب: ..... ٩٩٨
**خاتمة** ..... ١٠٠٠
توصيات البحث: ..... ١٠٠١

المصادر والمراجع ..... ١٠٠٢
فهرس الموضوعات ..... ١٠١٠